أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
إدارة الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
مليم
٤٠٠ في وادي النيل
٤٠٠ لطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الأول — القاهرة : المحرم سنة ١٣٧٨ -- يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ — المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

في عامنا الجديد

نسميه «عاما» تبعا لما اصطلح الناس عليه من قياس أعمار الأمم بدورات الفلك ، ولو أنصفنا العهد الذي نعيش فيه من ستة أعوام ، معتبرين السنة بما تنطوي عليه من أحداث ، وما تقطعه الأمة فيها من مفاوز نحو الهدف الأعظم ، لاعتبرنا العام الواحد عصرا كاملا . وكم من أمة تتمنى لو تقدمت نحو أهدافها العظمى في عصر كامل ، بمقدار ما تقدمنا نحن نحو هدفنا الأعظم في العام الهجري الذي ودعناه ، لنستقبل أخاه الذي احتفلنا بمولده ، وبذكرى هجرة قدوتنا الأعلى صلوات الله وسلامه عليه .

تواترت علينا نعم الله وآلاؤه في العام المنصرم كالعين الثرة الدافقة بالحياة والبركة والقوة ، وكان من أبرك هذه النعم امتداد يد الشام ليد مصر — بصدق وإخلاص وإيمان — للاتحاد والتعاون على تحقيق رسالة العروبة والإسلام والتعايش الكريم . وكان المتمردون على الله من صنائع الاستعمار في العراق يريدون أن يظهروا العراق بمظهر المعوق لتلك الرسالة الإلهية ، فقصم الله ظهورهم ، وجعلهم عبرة ونكالا لكل متمرد جبار . وها قد امتدت يد العراق الأصيلة ، للتعاون مع يد مصر والشام ، على توجيه القافلة في صراط الله المستقيم ، فكان لنا من نعم الله السابغة في يوم واحد ، ما كنا نرجو أن يكون في أعوام طويلة ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . .

وفي فاتحة العام الجديد نضرع إلى الله سبحانه أن يديم علينا آلاءه متوالية نامية ، وليذكر بعضنا بعضا بأن النعم تدوم بالشكر عليها ، وأصدق أساليب الشكر على النعم حسن استعمالها ، والتقرب إلى الله بطاعته والتماس مرضاته . وإلى اللقاء على هذه الصفحة في العام الآتي إن شاء الله ،

« المجلة »

٢

صاحب ذكرى الهجرة

فى بعض ما امتاز به على جميع رسل الله

امتازت الرسالة المحمدية ، على جميع ما تقدّمها من رسالات الله إلى الناس ، بامتيازات لا تزال العقول تقف منها على الشئ بعد الشئ ، ما تعاقب التفكير ، وما تجدّدت ذكريات صدر الإسلام ، وما تحرّى البشر حقائق الأشياء معترفين بها ومغتبطين .

وقد سبق لى فى مقال « الجيل المثالى [١] » أن استعرضت شعوب التاريخ ، وتلاميذ الأنبياء والحكماء والمصلحين : من موسى ، إلى كونفوشيوس (الذى يسميه الإفرنج كونفوشيوس) ، إلى حواريى المسيح ، فانتهت المقارنة بين تلك الأجيال والجيل المحمدى إلى أن الإنسانية ـ من أقدم أزمانها ، وفى مختلف أوطانها ـ لم تشهد « الجيل المثالى » إلا مرّة واحدة حين فوجئت باقبال تلاميذ محمد عليها من صحارى أرض العرب ، يدعون إلى الحق والخير ، بالقوة والرحمة ـ قوة الأخلاق وهى من عناصر إيمانها ، ودعوة الرحمة وهى روح ذلك الإيمان ـ فكانت المفاجأة عجيبة بمصدرها ، وكيفيتها ، وأطوارها . ثم كانت عجيبة العجائب بنتائجها التى لا تزال إلى اليوم من معجزات التاريخ . وإن الإنسانية وقد وقفت يومئذ تتساءل ، ولا تزال إلى اليوم تتساءل : أين كان هؤلاء ، وكيف تكوّنوا على حين غفلة من الأمم ؟ وما هذه الرسالة التى يحملونها ، وكيف نجحت ، وما هى وسائل نجاحها ؟ سلسلة من الأسئلة ، لا يكاد الناس يتساءلون بأوّلها ، حتى يفاجئوا بما ينسيهم تاليه أوّله . . .

إن تلاميذ صاحب هذه الهجرة وحدهم ـ دون غيرهم من أهل الكتب السماوية فى رسالات الله ـ قد حفظوا للانسانية كتابهم الإلهى كما أوحى به إلى رسولهم ، فكانوا يدّخرونه فى صدورهم : الآية مع الآية ، والسورة بعد السورة ، ويكتبون ذلك فى الرقاع والعسب واللخاف ، ثم يجمعونه ويرتبون آياته فى سورها كما كان يعلمهم الهادى الأعظم .

---

[١] مجلة الأزهر ، جزء جمادى الآخرة سنة ١٣٧٣ : ص ٦٤١ — ٦٥٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكان للانسانية مصحف التنزيل الإلهى بخارج حروفه يومئذ ونبراتها ، وإمالاتها ومدودها ، وغنتها وإشمامها وإدغامها ، بدقة وأمانة لم يسبق لها نظير فى أمة من الأمم . ثم تناقلوا ذلك بالتلقى والتلقين ، حافظا عن حافظ ، من الفم إلى الفم ، كما لا نزال نرى بأعيننا ونسمع بآذاننا إلى زماننا هذا ، وسيبقى ذلك ما دام فى الأرض بشر ، حتى لقد اعترف أشنأ الشانئين ـ فضلا عن جماهير المسلمين ـ بأنه لم يحفظ « نص » على تعاقب الأجيال ، من آدم إلى الآن ، كما حفظ هذا القرآن الحكيم . ولا تستطيع ملة من الملل التى كانت قبل الإسلام أن تدعى لكتابها مثل هذه المزية ، ولا قريبا منها ، ولا أدنى من ذلك ، ما دامت للتاريخ مقاييس ، وللعقول أنظمة وقواعد ، وللعلوم سنن وضوابط .

وكما كانت للقرآن هذه العناية الدقيقة من نفوس الجيل المحمدى ، كذلك كان لهم الشغف العظيم بحفظ كل ما يتصل برسالة الهادى الأعظم من سيرته وأحواله وأقواله وأفعاله وتوجيهاته وتصرفاته . وإن سيرته ـ صلوات الله عليه ـ وأحواله ، وأقواله ، وتوجيهاته ، وتصرفاته خزينة وثائق ونصوص كان من أعظم الخير للانسانية أن تحفظ ، وأن يتواصى الناس بالعمل بها . وقد بلغ من اهتمام (غير المسلمين) بهذه الخزانة الثمينة من وثائق الإنسانية أن عمدوا إلى كل لفظة من ألفاظها فجعلوا لمجموعها معجما مفهرسا سيكون بأضعاف حجم (النهاية) لأبى السعادات بن الأثير ، لا ليذكروا معانى الغريب من ألفاظ السنة ، بل ليدلوا على مكان كل لفظ من ألفاظها بالجزء والصفحة ، أو بالكتاب والباب ، من صحيحى البخارى ومسلم وسنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد . فاذا اكشف الباحث عن أى لفظة من أى حديث فسيجد فى هذا المعجم مكان استعمالها فى هذه الأمهات العظيمة من كتب السنة المعتبرة . وقد بدأ بتأليف هذا المعجم المفهرس أ . ى . ونسنك الهولندى إلى أن مات ، فقام على المضىّ فيه صديقه وتلميذه ى . ب . منسنك إلى أن مات ، فواصل عملهما من بعدهما ك . أدريانسى و و . پ . دى هاس و ى . ب . فن ، ويساعدهم على إكمال طبعه بالإعانات المالية المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية واليونسكو والهيئة الهولندية للبحث العلمى البحت والاتحاد الأممى للمجامع العلمية . وآخر ما علمت قد طبع منه بمطبعة بريل فى ليدن بهولندا سنة ١٩٥٦ الجزء الثالث والعشرون إلى حرف العين (مادة : عدو) ، وهذا المعجم شهادة عملية من الإنسانية على أهمية هذا التراث المخلد فى تاريخ العلم والتشريع والتوجيه الإنسانى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن كتاب الله المنزل على خاتم رسله ، والذخيرة الإنسانية التى ادخرها تلاميذ محمد لأجيال المسلمين من أقوال الهادى الأعظم وأفعاله وتوجيهاته ، تتألف منهما رسالة الإسلام . ولتحقيق هذه الرسالة وتعميمها وتخليدها ، هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى دار الهجرة والنصرة ، وسنرى فى اللمحات الآتية - وهى لمحات موجزة خاطفة بقدر ما يتحمله المقام - كيف عنى الصحابة بحفظ السنة المحمدية وتحميل أماناتها لتلاميذهم من التابعين ، إلى أن تولى رجال التدوين تسجيلها فى أصح ما يمكن للبشر أن يدونوه من تراث الإنسانية التاريخى والأدبى .

روى أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه (كتاب المظالم ٤٦ ، الباب ٢٥) عن عبد الله بن عباس أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال له : « كنت وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد - وهى من عوالى المدينة - نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم ، فينزل هو يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره ، وإذا نزل فعل مثله » .

وقال البراء بن عازب الأوسى : « ما كل حديث سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين برعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون مافاتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ، وكانوا يشددون على من كانوا يسمعون منه » .

وكان من حرص الصحابة على حفظ السنة المحمدية والتثبت منها وتعميم العلم بها ، أن الواحد منهم لا يقتصر على ما سمعه بنفسه ، بل ينشر ما حدثه به إخوانه . وقد رأيت كيف كان عمر يتناوب مع جاره الأنصارى النزول من عوالى المدينة إلى مجالس الرسول صلوات الله عليه ، ورأيت قول البراء بن عازب إن الصحابة كانوا يطلبون ما فاتهم سماعه من رسول الله فيسمعونه من أقرانهم وممن هو أحفظ منهم ويشددون على من كانوا يسمعون منه . وأورد الحافظ ابن حجر فى ترجمة عبد الله بن أنيس من كتاب الإصابة عن الإمامين أحمد والبخارى وغيرهما أن الصحابى ابن الصحابى جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : بلغنى حديث فى القصاص وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر .

وروى الإمام النووى شارح صحيح مسلم فى كتابه (بستان العارفين) ص ٤٣ بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه خرج على بعير له يجوب الآفاق فى البحث عن صحابى بلغه أنه سمع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من النبي صلى الله عليه وسلم حديث « من ستر على أخيه المؤمن فكأنما أحياه » ولما دخل البلد الذى قيل له إن ذلك الصحابى مقيم فيه أرشده بعضهم إلى منزل أحد الصحابة ، فلما سأله عن الحديث قال له : لست أنا ذاك ، ولكن ذاك رجل يقال له شهاب ، فخطر على بال جابر أن يسأل حاكم البلد ـ واسمه مسلمة ـ عن شهاب هذا ، فأتى بيت الحاكم وقال للبواب : قل للأمير ينزل إلىّ . فدخل البواب على الأمير وهو يبتسم ، فقال له الأمير : ما شأنك ؟ قال : رجل على بعير قال « قل للأمير ينزل إلىّ » . فقال الأمير : ألا سألته من هو ؟ فرجع البواب فسأله ، فقال له : أنا جابر بن عبد الله الأنصارى . فرجع إلى الأمير وأخبره . فوثب الأمير من مجلسه فأشرف عليه وقال : اصعد . فقال جابر : ما أريد أن أصعد ، ولكن حدثنى أين منزل شهاب ؟ قال : اصعد فأرسل إليه فيقضى حاجتك . قال : لا أريد أن يأتيه رسولك ، فان رسول الأمير إذا جاء رجلا راعه ذلك ، وأنا أكره أن يروع رجل من المسلمين بسببي . فنزل الأمير يمشى مع جابر بن عبد الله حتى أتى شهابا فسمع منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على أخيه فكأنما أحياه » .

هذه صورة من عناية أصحاب رسول الله فى حفظ أمانة السنة ، والسفر فى الصحارى وقطع المفاوز لتلقى الحديث الواحد من فم الذى سمعه مباشرة من رسول الله . ومثل هذه الجهود للحصول على الحديث الواحد قبل أن يضيع بوفاة صاحبه ، دليل على عظيم عناية الصحابة بالنصوص الصادرة عن نبيهم صلوات الله عليه ، وبذل الجهد فى نشرها وتعميمها .

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى (٣٢١ ـ ٤٠٥) فى كتابه (المدخل إلى كتاب الإكليل فى أصول الحديث ص ٧ ـ ٨) وقد ألف قبل أكثر من ألف سنة : « روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة : بمكة قبل الهجرة ، ثم بالمدينة بعد الهجرة ، حفظوا عنه أقواله وأفعاله ، ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده ، وعبادته ، وسيرته ، وسراياه ، ومغازيه ، ومراحه وزجره ، وخطبته ، وأكله وشربه ، ومشيه ، وسكونه ، وملاعبته أهله ، وتأديبه فرسه ، وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه ، وأنفاسه ، وصفاته . هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام ، أو تحاكموا فيه إليه » .

وفى عصرنا هذا ، ألقى علامة مسلمى الهند السيد سليمان الندوى رحمه الله ثمانى محاضرات على الجامعيين من جميع الأديان فى جامعة مدراس الهندية ، قارن فيها بين الرسالة المحمدية ورسالات جميع الأنبياء والمصلحين ، وأعلن أن محمدا وحده هو (الإنسان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التاريخى) الذى عرف الناس دخائله ومظاهره وجميع أحواله ، وحفظوا عنه ما لم تحفظه أمة عن أحد غيره من الأنبياء والقادة . ومما قاله (الرسالة المحمدية ص ٧٧ - ٧٨) : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أذن لأصحابه ولمن يحضر مجالسه أن يبلغوا عنه لمن غاب عنها ، وهذا الإذن عام لما يكون عنه فى بيته وبين أهله وعياله ، أو ما يصدر عنه فى حلقته مع أصحابه ، أو ما يقفون عليه من أعماله وأقواله ، عند تعبده فى مسجده ، أو قيامه على منبره خطيبا ، أو جهاده فى ساحة الحرب تجاه أعدائه وهو يسوى صفوف المجاهدين فى سبيل الله ، أو إذا خلا إلى ربه فى حجرة منعزلة فى بيته يعبد الله ويتضرع إليه ، فكان أزواجه وأصحابه يتحدثون جميعا بكل ما يصدر عنه من قول أو عمل . ثم إنه كان تجاه مسجده صفة يأوى إليها فقراء الصحابة ، ولم يكن لسائرهم عمل غير صحبة النبي ولزوم مجالسه ليحفظوا عنه ما يقول وما يعمل ، ثم يروونه للناس بعناية وأمانة . وقد بلغ عدد أهل الصفة هؤلاء سبعين رجلا كان منهم أبو هريرة الذى لم يكن صحابى أكثر منه حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء السبعون كانوا كأنهم جواسيس الحكومة وعيونها فى نشاطهم وإخلاصهم لما يسرهم الله له من حفظ كل ما يستطيعون حفظه مما يدخل فى موضوع الحديث النبوى . وإذا ارتحل الرسول عن المدينة فى غزوة أو حج كانوا معه ، وكذلك غيرهم من الصحابة ، حتى لم تخف عنهم خافية من أمره . ولما كان فتح مكة كان معه من أصحابه عشرة آلاف ، ولما سار إلى تبوك كان فى معسكره ثلاثون ألفا ، ولما حج حجة الوداع حج معه فى تلك السنة مائة ألف مسلم ينطبق عليهم عنوان « الصحابة » . وما منهم إلا من يحرص على الوقوف على شئ من هداية نبيه صلى الله عليه وسلم أو أى أمر من أموره فيتحدث عنه . بل هو الذى أمرهم أن يبلغوا عنه ما يسمعون منه أو يرون من تصرفاته . فما ظنكم به بعد ذلك ، هل يخفى عن التاريخ وجه من وجوه حياته أو ناحية من نواحيها ؟ هذا من جهة أصحابه ، وأما أعداؤه فانهم أفرغوا جهدهم واستنفدوا سعيهم ليقفوا على دخيلة من دخائله وليؤاخذوه بحقيقة يعلمونها عنه ، فلم يستطع أحد منهم أن يجد له ناحية ضعف . وأقصى ما استطاع أعداؤه فى كل زمان أن يقولوه : إنه سل سيفه للقتال ، وإنه كان كثير الأزواج ، وقد تبين لهم أن حياته الطاهرة هى العصمة من كل نقص » .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الوحيد من أنبياء الله الذى كانت حياته كلها مكشوفة للتاريخ : فى منزله ، وفى المجتمع . ويقول المؤرخ الانجليزى جيبون إن محمدا كان من حياته فى امتحان نجح فيه النجاح الأعلى دون غيره من عظماء الأرض . والمنصفون من غير المسلمين قالوا فى نبينا مثل هذا وأكثر منه . وقد كان من رسالته صلوات الله عليه أن يبين القرآن للناس ، فالسنة والحديث مجال هذا البيان ، ومن كمال هذا البيان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوضوح البليغ فى عرضه وتبليغه . روى الإمام أحمد عن وكيع عن سفيان عن أسامة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : « كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا ، يفهمه كل أحد ، ولم يكن يسرد سردا » . ورواه أبو داود عن أبى شيبة عن وكيع . وكان ذلك ليحسنوا وعيه منه ، وتبليغه للناس ، وقد كانت أوامره قطعية فى حجة الوداع : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه » ، « فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

من هنا نشأ الحديث النبوى ، فيما بين صاحب الرسالة والذين أرسله الله إليهم . ومن هنا كان لصاحب هـذه الهجرة الامتياز على جميع رسـل الله فى حفظ تراثه العظيم الذى لو اعتبرناه مادة من مواد التاريخ لمـا رأينا فى مواد التاريخ الأخرى ما يدانيه فى الصحة وتحرى الأمانة فى نقله من جيل إلى جيل . وإذا كان الذين يطيلون ألسنتهم بالتشكيك فيما صح عند المسلمين من حديث نبيهم يحابون مواد التاريخ الأخرى ، فلا يلمزونها بما يلمزون به الحديث النبوى ، فلا شك أن ذلك منهم إما عن جهل بما امتاز به تمحيص الحديث النبوى على كل حـديث غيره ، والجـاهل لا ينبغى له أن يتعرض لمـا هو جاهل به . أو لأنهم مدفوعون إلى ذلك بإحنة أو سخيمة ينطوون عليها للاسـلام وصاحب رسالته وجـهود أمته ، فهم إذن أعداء ، والعدو لا يقبل قوله فيمن يعاديه . أما المدسوس فعلا على رسالة الإسـلام من الأحاديث الموضوعة والواهية ، فعلماء هـذا الشأن من أسلافنا وأئمتنا هم الذين فضحوه وأعلنوا سقوطه وألفوا الـكتب فيه وفى الذين اجترءوا على وضعه من أعداء أو جهلاء ، فالتذرع بالموضوعات والأحاديث الواهية للتشكيك فى الأحاديث الصحيحة والحسنة لا يجوز صدوره عن رجل يحترم التاريخ ، لأن حظ الحـديث النبوى والسنة المحمدية من التمحيص والتحرى أسمى من حـظ كل ما يحترمه الناس ويعتمدون عليه من مراجع التاريخ فى جميع أمم الأرض . والفضل فى تمحيص الحديث ، وتمييز الطيب منه عن الخبيث يرجع إلى أئمتنا وعلماء حـديث نبينا ، وإنهم قـد أحاطوا بذلك واستقصوه ولم يتركوا بعدهم مقالا لقائل ، من عالم أو جاهل .

ومما لغطوا به ولاكته ألسنتهم من أساليب التشـكيك أن الحديث نقل من جيل الصحابة إلى تلاميذهم من التابعين بالحفظ والتلقى والتلقين ، لا بالـكتابة والتدوين . وهل اختار الله لحفظ القرآن إلا طريقة التلقى والتلقين قبل الـكتابة والتدوين ؟ وليخجل هؤلاء من مصطفى صادق الرافعى وهو يقول لهم : كانت العرب أمة أمية لا يقرءون إلا ما تخطه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الطبيعة ، ولا يكتبون إلا ما يلقنون من معانيها . فيأخذون عنها بالحس ، ويكتبون باللسان فى لوح الحافظة ، فكان كل عربى - على قدر وعيه وحفظه - كتابا أو جزءا من كتاب . وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمنى فى إحصاء الأخبار والآثار . ولو أن الكتابة كانت فاشية فيهم ما عدلوا إليها ، ولا استغنوا بها عن الحفظ . لأن سبيل تلك المعانى الطبيعية أن تجىء من أداة طبيعية أيضا ، حتى تكون عند الخاطر إذا خطر ، والهاجس إذا بدر . وليس لذلك غير اللسان .

وقال أبو عمر بن عبد البر فى جامع بيان العلم (١ : ٦٩) بعد أن استعرض أقوال الذين كانوا يمنعون من كتابة الحديث فى الصدر الأول : ومن ذكرنا قوله فى هذا الباب فانما ذهب فى ذلك مذهب العرب ، لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ ، مخصوصين فى ذلك . والذين كرهوا الكتابة - كابن عباس والشعبى وابن شهاب والنخعى وقتادة ومن ذهب مذهبهم ، وجبل جبلتهم - كانوا قد طبعوا على الحفظ ، فكان أحدهم يجتزىء بالسمعة (أى يحفظ من السماع مرة واحدة . وبعد أن ضرب المثل على ذلك قال) : وهؤلاء كلهم عرب ، وقال : النبى صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » . وهذا مشهور أن العرب قد خصت بالحفظ : كان أحدهم يحفظ أشعار بعض من سمعة واحدة . ومن أقوالهم « حرف فى تامورك خير من عشرة فى كتبك » . والتامور : علقة القلب .

وروى أبو حاتم عن الأصمعى أن يونس بن حبيب سمع رجلا ينشد :

استودع العلم قرطاسا فضيعه ... وبئس مستودع العلم القراطيسا

فقال يونس : قاتله الله ما أشد صيانته للعلم إن علمك من روحك ، وإن مالك من بدنك ، فصن علمك صيانتك روحك ، وصن مالك صيانتك بدنك .

وأنشد عمر بن أبى ربيعة المخزومى عبد الله بن عباس قصيدته :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد ، أم رائح فمهجر ؟

وهى تقرب من سبعين بيتا ، وكان نافع بن الأزرق الخارجى يسمع ، فلما انتهى عمر بن أبى ربيعة من إنشاد قصيدته قال ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس ، أيضرب الناس إليك أكباد الإبل يسألونك عن الدين . ويأتيك غلام من قريش ينشدك سفها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتسمعه ؟ قال ابن عباس : تالله ما سمعت صفها . قال ابن الأزرق : أما أنشدك :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيخزى ، وأما بالعشى فيخسر ؟

قال ابن عباس : ما هكذا قال ، إنما قال « ... فيضحى ، وأما بالعشى فيخصر »

فقال ابن الأزرق : وتحفظ الذى قال ؟ قال ابن عباس : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه، ولو شئت أن أردها لرددتها . قال نافع : فارددها . فأنشده ابن عباس القصيدة وهى سبعون بيتا . قال الحافظ بن عبد البر : وليس أحد اليوم على هذا ، ولولا الكتابة لضاع كثير من العلم .

وهكذا لما كان الصحابة ومن لهم مزية الحفظ من تلاميذهم يكتفون بالحفظ ، كان من مصلحة السنة والحديث النبوى أن يتلقى الراوى عمن يثق به وبأخلاقه من الحافظين ، وأن يلقن الأستاذ من يثق بأمانته ووعيه من المتعلمين . فلما ضعف الحفظ حل محله التدوين والكتابة ومع ذلك فإنه فى الدور الذى امتاز أهله بالحفظ كانت توجد الكتابة ، وفى الدور الذى غلبت فيه الكتابة بقى كثيرون من الممتازين بالحفظ إلى زماننا هذا ، ولولا أن يتسع بنا القول لضربنا الأمثال والشواهد التاريخية على ذلك .

أما الكتابة فى العصر النبوى فالشواهد عليها كثيرة ، منها ما رواه الإمام أحمد فى مسنده(٢ : ١٩٢ الطبعة الأولى) ومثله فى ١٦٢ ، وأبو داود فى سننه (٢ : ٢٢) والحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم (١ : ٧١) عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش عن ذلك وقالوا : تكتب و رسول الله يقول فى الغضب والرضا ؟ فامسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اكتب ، فو الذى نفسى بيده ما خرج منه إلا حق » وأومأ باصبعه إلى فيه .

وكان ابن فاتح مصر يسمى ما كتبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصادقة) ، انظر طبقات ابن سعد (٢ : ١٢٥ القسم الثانى طبعة ليدن) وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ٩٣) وجامع بيان العلم لابن عبدالبر (١ : ٧٢) . ومن الصادقة كان يروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . والذين يرون الحفظ أثبت من الكتابة كانوا يرون أحاديث عمرو بن شعيب دون المحفوظ .

وكان عبد الله بن مسعود يكتب . أخرج الحافظ ابن عبد البر فى جامع بيان العلم(١ : ٧٢)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عن مسعر عن معن قال : أخرج لى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أنه بخط أبيه بيده . وكان لسعد بن عبادة كتاب أو كتب . روى الإمام أحمد فى المسند (٥ : ٢٨٥ الطبعة الأولى) عن اسماعيل بن عمرو بن قيس بن سعد بن عبادة عن أبيه (عمرو بن قيس بن سعد) أنهم وجدوا فى كتب ـ أو فى كتاب ـ سعد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد . وفى ترجمة عبد الله بن عباس من كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر : روى محمد بن هارون الرويانى فى مسنده عن عبيد الله بن على ابن أبى رافع قال : كان ابن عباس يأتى أبا رافع فيقول : ما صنع النبى صلى الله عليه وسلم يوم كذا ؟ ومع ابن عباس من يكتب ما يقوله أبو رافع . وفى طبقات ابن سعد (٥ : ٢١٦ طبعة ليدن) عن موسى بن عقبة (صاحب المغازى . المتوفى سنة ١٤١) قال : وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس . قال : فكان على بن عبد الله ابن عباس إذا أراد الكتاب بعث إليه : ابعث إلى بصحيفة كذا . والصحيفة عندهم الكتاب المحتوى على كراريس . وفى كتاب الأدب المفرد للبخارى (رقم ١١٣١ طبع السلفية) صورة كتاب من زيد بن ثابت إلى معاوية فى خلافته عن ميراث الجد والجدة ، أورده البخارى لبيان آداب المراسلة بين الصحابة رضوان الله عليهم . وتاريخ كتاب زيد ابن ثابت إلى معاوية يوم الخميس لثنتى عشرة بقيت من رمضان سنة ٤٢ . وفى (توجيه النظر) لشيخنا الشيخ طاهر الجزائرى رحمه الله (ص ٨) أن زيد بن ثابت ألف كتابا فى علم الفرائض . ولجابر بن عبد الله منسك صغير أورده مسلم فى كتاب الحج من صحيحه مطولا . وله صحيفة (كتاب) ذكرها ابن سعد (٥ : ٣٤٤ طبع ليدن) فى ترجمة مجاهد ، وذكر أنه كان يحدث عنها . وفى جامع بيان العلم لابن عبد البر عن الربيع بن سعد قال : رأيت جابرا يكتب عند ابن سابط فى ألواح . ونقل ابن القيم فى كتاب القياس فى الشرع الإسلامى (آخر ص ١٠٨ طبع السلفية سنة ١٣٧٥) عن الترمذى أن قتادة كان يحدث عن صحيفة سليمان اليشكرى التى كتبها عن جابر عبد الله . وأبو هريرة صار يكتب ما حفظه قبل أن ينساه ، وكان قبل ذلك لا يكتب حتى أنه قال « لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منى ، إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب » (جامع بيان العلم ١ : ٧٠) . فلما صار أبو هريرة يكتب بعد ذلك جعل يعتمد على كتابته . قال الفضل بن حسن بن عمرو الضمرى : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت له : إنى سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى . والذين يشككون أمة محمد صلى الله عليه وسلم بما حفظه عنه أبو هريرة من الحديث النبوى يتجاهلون أن الذين رووا عن أبى هريرة كان فيهم أقطاب التابعين وأعلام الإسلام كسعيد بن المسيب والحسن البصرى ومحمد بن سيرين وهذه الطبقة ، وهؤلاء ممن خالطوا أبا هريرة وعرفوه فى السراء والضراء ، وكانوا أحرص على حديث نبيهم وشريعته من أن يستقوها إلا من أصفى وأطهر ينابيعها ، وهم - بمعاصرتهم وواسع علمهم بالسنة المحمدية ، وصدق أمانتهم للاسلام - أعرف بصدق أبى هريرة من كل من يعصى الله - بعد أربعة عشر قرنا - بالبغى على هذا الصحابى الحافظ الصادق الذى يريد منا هؤلاء أن نعطل ما حفظه رضى الله عنه من سنة نبينا وأحكام شريعتنا ، فالله حسبهم ... ورأينا من يطعن فى أحاديث أبى هريرة يتابع أهواء مؤلف يسىء القول فى من هو أعظم من أبى هريرة ، فهل يريد مقلده أن يلقى الله بمقالة السوء فى أبى هريرة وحده ، أم بمن هو أعظم منه أيضا ؟

إن صاحب ذكرى الهجرة صلوات الله عليه إنما عاش ما عاش بمكة ، ثم تجشم ما تجشم للهجرة بأصحابه منها إلى المدينة ، ليحفظ للانسانية أمانة القرآن الحكيم ، وأمانة بيانه بالسنة المطهرة والحديث النبوى . وقد كان الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان يبذلون من مهجهم وجهودهم لحفظ هاتين الأمانتين كما كانوا يبذلون منهما فى مواقف الجهاد ، ولا نعرف فى كل ما نعرفه من محفوظ الخلف عن السلف - فى تاريخ أو أدب أو علم أو سياسة - شيئا حيط بالصيانة والعناية كما حاط بهما علماء الإسلام هذه الشريعة المطهرة ونصوصها الأولى . وهذه الميزة من أهم ما امتاز به صاحب ذكرى الهجرة على جميع أنبياء الله ، ومن أهم ما امتاز به الجيل الذى تولى تربيته هذا الرسول الكريم . وإذا شك أحد فى صحة ما صح عند أئمتنا من حديث نبينا فأجدر به أن يشك فى صحة كل ما نقلته الأمم من تاريخها وحكمتها وتراثها الإنسانى ، ولا يجرؤ على ذلك إلا معتوه ، أو عدو لا يستحى .

محب الدين الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العـــام الهجرى

فى آخر لحظة من شهر ذى الحجة ، وأول لحظة من شهر المحرم ، يطوى سجل خاص لعام من أعوام التاريخ الهجرى ويفتح سجل آخر ، هـذا السجل الذى طوى قد حوى أحداثا للأمة العربية يقرؤها منهم المبصر والكفيف ويطالعها الأمى والقارئ ، ويتأمل فيها العالم والجاهل، وقد صار هذا السجل الخاص جزءا من ألف وثلاثمائة وسبعة وسبعين جزءا من السجل العام للتاريخ الهجرى ولن تمتد إلى هذا السجل يد المحو والإثبات لا من الخالق القوى القادر ولا من المخلوق الضعيف العاجز ، فهو أشبه باللوح المحفوظ عند الله وكل ما يستطيعه المخلوق أن يعتبر بما فيه خاصة العقلاء المطلعين عليه ، فان رأوا الفساد والشر فيما فات، أمكن أن يمنعوا حصوله فيما هو آت، وتلك حكمة الحكماء والأثر الصحيح لتفكير العقلاء ، يستعرضون الأحداث ، ويبحثون بتدقيق ما دعا إليها وما نتج عنها وما يعود عليهم وعلى شعوبهم من بقائها ، كما يبحثون أنجع السبل لملاقاة ما قد يكون لها من أخطار ويسارعون لوضع الخطط الكفيلة للتخلص من شرورها ويعملون على تجنيب البشر ويلاتها ، وبمقدار حظ الأمة من هؤلاء العقلاء يكون حظها من الخير والرقى والفلاح ، ولنا أعظم الرجاء عند الله أن يكون للمسلمين عامة وللعرب خاصة من هؤلاء الأخيار العدد الوفير ، وأن يوفقهم الله ويوفق الأمة معهم لبلوغ أعلى الدرجات فى العلم والقوة وإسداء الخير للمسلمين والناس أجمعين .

ويجدر بنا قبل أن نستعرض بعض ما قد سطر فى سجل العام الذى انقضى من أحداث ، أن نذكر الناس بحدثى الهجرة والتاريخ الهجرى فنقول :

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أول نبوته ثلاث سنين يدعو إلى الإسلام سرا ثم أعلن الدعوة فى الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافى موسم الحج كل عام ومواسم عكاظ ومجنة وذى المجاز ، يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، ويعرض نفسه على القبائل فلم يجد من ينصره ، وكان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا من الأنبياء مبعوث فى هذا الزمان وسيخرج فنتبعه . فلما قدموا للحج ورأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الله عز وجل وتأملوا أحواله قال بعضهم لبعض والله إن هـذا للذى توعدكم به يهود المدينة فلا يسبقنكم إليه فلقيهم النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فى الموسم وكانوا ستة من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا ، ثم رجعوا إلى المدينة فدعوا إلى الإسلام فيها حتى لم يبق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بها دار إلا كان فيها ذكر للاسلام ، وفى العام التالى أقبل منهم اثنا عشر رجلا فبايعوا رسول الله على السمع والطاعة وأن ينصروه إذا قدم عليهم و يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة . وفى العام الثالث قدم منهم سبعون أو خمسة وسبعون فبايعوا رسول الله على مثل ما تقدم بيعة العقبة الكبرى ، وأمر رسول الله بعدها المسلمين بالهجرة إلى المدينة ومكث ينتظر الإذن له ، وأذن له بالهجرة وأن يستصحب معه أبا بكر رضى الله عنه وكانت المدة التى أقامها بمكة بعد الرسالة ثلاثة عشر عاما .

فخرج من مكة لهلال ربيع الأول و وصل المدينة لاثنتى عشرة خلت منه ، فتلقاه الأنصار بسلاحهم وكبروا فرحا بقدومه واحدقوا به فى مسيره حتى نزل بقباء ، فأقام أربع عشرة ليلة أسس فيها مسجد قباء ، ثم ركب إلى المدينة ، ولم تزل ناقته سائرة لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه فى النزول عليهم وأمسكوا بخطام الناقة فيقول دعوها فإنها مأمورة حتى وصلت إلى موضع مسجده و بركت ، ولم ينزل عنها فنهضت وسارت قليلا ثم التفتت فرجعت و بركت فى موضعها الأول فنزل عنها وكان سرور الأنصار بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحيط به الوصف وفى ذلك يقول قائلهم :

ثوى فى قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لو يلقى حبيبا مواتيا
ويعرض فى أهل المواسم نفسه ... فلم ير من يؤوى ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم ... بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من جل مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادى الذى عادى من الناس كلهم ... جميعا و إن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا

و يفيض المؤرخون فى حديثهم عن الهجرة ، والباعث عليها ، وما كان لها من آثار سياسية وغير سياسية .

و إنما الذى يعنينا كرجال دين أن نبين أن هجرة رسول الله وأصحابه ما كانت فرارا بالدين فما كان محمد وخيرة أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من النخبة الطاهرة يخشون أن يفتنوا فى دينهم أو أن تزيغ قلوبهم بالاضطهاد والعذاب بعد إذ هداهم الله للاسلام فيفروا بدينهم فرقا وفزعا ، أجل ما كان محمد والمصطفون الأخيار من صحابته قد هاجروا فرارا بدينهم ولكنهم هاجروا ليكونوا فى موضع المهاجم بدعوة الإسلام حتى تكتسح أرض الجزيرة العربية ، ثم تنتفض فتعبر البحار والمحيطات إلى ما شاء الله من الأقطار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والآفاق ، وكان محمد وأصحابه يرون بنور الله فهو أعينهم التى بها يبصرون وآذانهم التى بها يسمعون وأطرافهم التى بها يبطشون و يمشون ، وقد حقق الله كل ما كانوا يرجون فبعد أن كان يدخل الإسلام الفرد أو الاثنان والمتخفى الخائف أو الظاهر المستجير بدل الله كل ذلك وجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانتشر نور الإسلام مع نور الشمس فأضاء العامر والخراب ، وانبسط سلطان التوحيد حتى على معابد الأوثان وبيوت النيران وتبخر الشرك فى الهواء ونضب معين الضلال فى الأرض وزلزل المضلون والجاحدون و بطل ما كانوا يعملون ، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ، وقالوا آمنا برب العالمين .

ذلك حدث الهجرة ـ أما حدث التاريخ الهجرى فنجمله فيما يأتى : ـ

روى الثقات من المؤرخين أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع إليه صك محله (أى وقت حلوله) شعبان فقال عمر أى شعبان هو ـ الذى مضى أم الذى هـو آت أم الذى نحن فيه ، ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه (أى يعرفـون به التاريخ) فقال قائل اكتبوا على تاريخ الروم فقيل إنه يطول فيهم يكتبون من عهد ذى القرنين وقال قائل اكتبوا على تاريخ الفرس كلما قام ملك طرح ما كان قبله وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه نكتب منذ خرج النبى صلى الله عليه وسلم من أرض الشرك فاجتمع رأيهم رضوان الله عليهم على هـذا مع اختيار اللفظ جزل المختصر : من الهجرة : ثم نظروا كم أقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فوجدوه قد أقام بها عشر سنين فكتب أول التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة عمر رضى الله عنه ، وكانت مدة خلافة أبى بكر رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، فيكون أصحاب رسول الله قد بدءوا التاريخ الهجرى بعد الهجرة بمدة أربعة عشر عاما وتسعة أشهر وعشر ليال .

والتاريخ الهجرى المنسوب إلى الهجرة لا يبدأ من الهجرة و إنما يبدأ من عامها لأن الهجرة كانت فى ربيع الأول كما قدمنا ، ومبدأ العام هو المحرم .

ويجدر بنا بعد أن ذكرنا حدثى الهجرة ، والتاريخ الهجرى أن نذكر بعض أحداث العام الماضى لنأخذ منها العظة والعبرة ، ونسترشد بها فى العام الآتى وما بعد الآتى فنقول :

أخطر أحداث العام الماضى وأعظمها الوحدة بين مصر وسوريا وما أفاء الله عليهما من نعمة الاستظلال بعلم واحد والاندماج فى جمهورية إسلامية واحدة تتآزر على النهوض بالإسلام والعروبة وتبذل النفس والنفيس لتحقيق كرامتها وعزتها ، وإنا لعلى يقين بأن الشعب السورى عريق التدين قوى الإيمان شديد الحفاظ على الأعراض يعطى الأسرة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حقها من العناية والرعاية ، كما يمنح المتجرو المصنع كل ما يحتاجان من مجهـود ونصب ، وهو مع هذا عزيز الجانب قوى الشكيمة لا يرضى بالضيم كما لا يرتضى الجور ، فهو بحق شعب للدنيا والدين .

وكم حمدنا الله على التوفيق لهذه الوحدة ودعوناه مخلصين أن تكون خيرا ويمنا للشعبين العظيمين ومبعث عز وكرامة للاسـلام والعروبة ، وتباشير الصباح الصبوح قـد ظهرت لذى عينين .

ولنا هنـا رغبات نسأل الله أن يوفقنا فيها وأن يمنـح أولى الأمر التوفيق لتحقيقها ولكن قبل أن نذكرها يجدر بنا أن نذكر ماصرح به الرئيس العاهل الحازم جمال عبد الناصر أن الثورة لا تدعى العصمة بالنسبة لجميع ما باشرته من أعمال وأن علينا أن نصحح ما قد يكون من أخطـاء ويكفى الثورة ورجالها أنه خطـأ كذلك نذكر ما أعلنه السـيد أنور السادات فى المؤتمر الشعبي بقنا أن الرئيس : جمـال عبد الناصر يطلب من كل مواطن أن يبلغـه عن الخطأ ويقترح طريق الإصلاح وعلل ذلك بقوله لأن الرئيس ورفاقه فى الحكم لا يمكنهم الإحاطة بكل شيء .

وقد رأينا رجال الدولة فى مصر وسوريا يبذلون الجهود فى سبيل توحيد القوانين ولو على سبيل التدرج ، وتوحيد القوانين بين القطرين اللذين أصبحا يكونان جسما واحدا هو الجمهورية العربية المتحدة أمر طبعى وسنن سياسى ممتاز ، ولكن هل المراد بتوحيد القوانين أن تسرى قوانين مصر على سوريا أم قوانين سوريا على مصر . المنطق والعقـل والحزم فى السياسة أن يبحث ذوو البصيرة والنور والعرفان فى القانون فما كان خيرا من غيره أتبع فى القطرين سواء أكان مصريا أم سوريا بل من الحزم أنه إذا ظهر فى القانون المختار بعض النقص أن يعدل بما يتلافى ذلك النقص .

ولهـذا نرجو ورائدنا الإخلاص لله وللدين والوطن أن يعاد النظر فى قانون توحيـد القضاء الذى هو فى الواقع إلغاء للمحاكم الشرعية وتحويل للفصل فى الأحـوال الشخصية إلى جهة غير جهة رجال الدين وقطع لصلة الأزهر بهذا الفرع من القضاء وهو به أجدر .

وقـد امتلأت المجـالس بالاعتراف بأنه لا يحسن القضاء فى الأحوال الشخصية غير رجال كلية الشريعه من الأزهر ولهذا جرى العمل فى وزارة العدل على أن القضاء المنفرد فى المحاكم الجزئية لا يباشره إلا القاضى الشرعى وفى القضاء الـكلى والعـالى يباشره القاضى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشرعى بجوار القاضى الوطنى مع الاستعانة بمذكرات عضو النيابة الذى يجب أن يكون من رجال القضاء الشرعى ، وهذا يعطى صورة قوية الوضوح للشعور بضعف القاضى الوطنى فى ناحية الأحوال الشخصية و إن رجال القضاء الشرعى كأنما يقومون الآن بدور الأستاذ لتعليم القاضى الوطنى هـذا الفرع من القضاء ـ ولـكن الواقع من ناحية أخرى أن هذا الدرس فى المحـكمة لا يخرج القاضى الذى يجب أن يكون فى مستوى القاضى الذى درس هذه النـاحية فى التعليم الابتدائى والثـانوى والعالى وفى تخصص القضاء فى مدة خمسة عشر عاما .

و إنا لنهيب بلجنة التنظيم للقضاء وعلى رأسها رئيس محكمة النقض وهو رجل عليم بالقوانين محنك فى القضاء دقيق فى البحث والتحرى عن أحـكم السبل الموصلة للعدالة أن تختار القـاضى ذا القدرة البارزة على الفصل فيما يرفع إليه من قضايا الناس فى الأحوال الشخصية ، ونحن مطمئنون إلى أنها لن تجد ذلك القاضى إلا فى كلية الشريعة بالأزهر أو كلية الشريعة بسوريا .

ونعود من ناحية أخرى فنقول : إن الأزهر يرحب بكل إصـلاح وتنظيم يرفع من شأن هذا القضاء و يدعم أركانه و يفسح المجـال للعدالة .

و إذا كان للجنايات دائرة وللجنح دائرة وللأحوال المدنية دائرة وللأحـوال التجارية دائرة ، فلمـاذا لا يكون للأحوال الشخصية دائرة يباشر الفصـل فيها القضاة من كلية الشريعة ليسجلوا كما سجل أسلافهم من الأزهر تاريخا قضائيا مجيدا وليظهروا كما أظهر أسلافهم أفكارا متزنة نيرة تعتبر نبراسا فى العدل والإنصاف وقديما قيل أعط القوس باريها .

على أنه إذا كان أولو الأمر قد ارتاحوا إلى الوضع الحالى الذى يسير على أن يباشر هذا الفرع من القضاء القاضى الشرعى وحده فى القضاء المنفرد و يباشره مع غيره فى القضاء المشترك فلا مانع من بقاء هذا النظام واستمراره وذلك إنما يكون ببقاء تخصص القضاء بكلية الشريعة .

ولا يصح الاكتفاء بهذا النظام على أن ينتهى بانتهاء مدة الخدمة لرجال القضاء الشرعى الحاليين ثم ينفرد بالقضاء بعدهم القضاة من خريجى كلية الحقوق فان فى ذلك هدم صرح شامخ من العلم والفقه الإسلامى يقدره حق قـدره علماء القانون وفى مقدمتهم رئيس لجنة تنظيم القضاء ، كما أن فى ذلك تعريض العدالة لخطر وشيك الوقوع .

ورئيس لجنة تنظيم القضاء الذى يرى تخصيص القاضى بناحية فى جميع مراحل القضاء لاشك أنه يرى أن من مصلحة العدالة تخصيص قاض بالأحوال الشخصية وأنه لا يصح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يملأ ذلك المركز إلا من مارس الأحوال الشخصية فى الدراسة خمسة عشر عاما ثم فى الكتابة بالمحاكم ثم فى عمل الموظف القضائى .

بهذا نتوجه إلى رجال الثورة و إلى الضمائر الحرة لرجال تذيق القضاء بين مصر وسوريا . و إلى كل ذى رأى حر والله الغيور على دينه وعلى العدالة نسأله أن يلهم الجميع الصواب و يوفقهم لإعلان كلمة الحق إنه سميع مجيب .

ومن أهم أحداث العام الماضى وأخطرها زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لجمهوريات الاتحاد السوفيتى تلك الزيارة التى زادت أواصر الصداقة بين الجمهورية العربية وجمهوريات الاتحاد السوفيتى توثقا وقوة ، وأعلن فيها كل منهما لصاحبه الحب و بادله الود والإخلاص ، ووقعت بينهما اتفاقات تجارة وتصنيع ، وبدأت فعلا ترد إلى مصر آلات المصانع وتتلاحق ، و يفد الخبراء والفنيون على الجمهورية العربية وفى تقدير رجال المال والأعمال ، أنه لا تمضى فترة وجيزة إلا وتكون الجمهورية العربية قد شغلت المركز اللائق بها فى التصنيع والتجارة والزراعة ، وتصبح من الدول الكبرى فى الشرق ، وهذه بعض آثار تلك الصداقة هذا إلى مساندة روسيا التى تعتبر الدولة الأولى فى العالم لجمهوريتنا فى ميادين السياسة وفى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وفى ميادين الحرب الباردة وفى كل موطن تحتاج فيه الجمهورية العربية بشطريها إلى سند قوى ومعين مخلص يساعدها فى درء قوى الشر والعدوان عنها .

وليست هذه الزيارة الكريمة تستدعى التجرد عن مبادئنا وخلع ديننا والتقمص بالمبادئ الشيوعية بل ولا تستدعى الصداقة بيننا و بينهم ذلك ولكن آثارها كما قلنا مبادلة الحب والإخلاص ، ولكل مبادئه وعقيدته بل ولكل سياسته ، ولهذا ما ترك الرئيس جمال عبد الناصر فرصة تمر إلا أعلن فيها سياسته الحيادية ورفع صوته جهوريا فى خطبه باستمساكه الشديد بسياسة الحياد الإيجابى على رءوس الأشهاد وعلى العالم أجمع ، تحت سمع و بصر أصدقائه الروسيين ، وقد عظم بذلك فى نظر ساستهم وقدروه حق قدره بشخصيته الفذة المستقلة ، فهو والحق يقال ، سافر إلى روسيا وقلبه يفيض بالإيمان بربه والتمسك بدينه ومذهبه فى سياسة الحياد الإيجابى والحرية التامة فى الرأى والاستقلال فى السياسة ، ثم عاد كما ذهب وقلبه مطمئن بالإيمان ومذهبه السياسى أقوى وأوثق وصلاته برجال السياسة فى العالم أوسع وأشمل .

فلله الحمد أعظم الحمد على هذه النتيجة الباهرة السعيدة ، فقل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا بروسيا ، اطمئنوا فالرئيس الحازم ورفاقه من رجال الثورة أقوياء الإيمان بربهم وثيقو التمسك بدينهم و يحتفظون لجميع الأديان السماوية بحقها ، و يمنحون الحرية لمن يدين بها كما يسمح بذلك الإسلام ، قل للذين يخشون علينا الشيوعية من اتصالنا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بروسيا اطمئنوا على دينكم ودولتكم ، فما دام الأزهر قويا يؤدى رسالته ، وما دام الأزهر عزيز الجانب فلا خوف على الجمهورية العربية بشطريها ولا على سائر بلاد العروبة من الشيوعية والمذاهب الهدامة وإنى أسأل الله من أعماق قلبي أن يديم الأزهر في مصر قويا عالى المكانة وضاءا يشع نوره على جميع الأقطار الإسلامية والعربية إن ربى لسميع لدعاء.

وآخر الأحداث الخطيرة فى العام الهجرى المنقضى حدث الثورة العراقية فهو بحق مسك الختام لحوادث هذا العام .

ففى الساعة الثالثة صباحا من يوم الاثنين المبارك السادس والعشرين من ذى الحجة سنه ١٣٧٧ هـ (١٤ يولية سنة ١٩٥٨ م) بدأ زحف الجيش العراقى الباسل بقيادة فريق من الضباط الأحرار يتقدمهم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ولم تمض أكثر من ساعة حتى كانت الثورة قد سيطرت على جميع المرافق الهامة .

وفى الساعة الرابعة أعلن مذيع محطة بغداد ما يأتى :

فى ليلة ١٤ يولية سنة ١٩٥٨م بدأ الزحف المقدس ـ الجيش العراقى الباسل نفض عبء الاستعمار عن كاهله ـ أفاق العرب من نومهم ـ سطعت أنوار الحرية ـ عمت الابتسامات أبناء الشعب ـ كان تحرير العراق حلما أصبح الآن حقيقة .

ثم أعلنت إذاعة بغداد أن الجيش قرر انتهاء عهد الملكية وبدء الحكم الجمهورى ـ وتأليف مجلس سيادة برياسة الفريق الركن نجيب الربيعى ويتمتع هذا المجلس بسلطات الجمهورية ويقوم بانتخاب الرئيس ـ وتألف مجلس وزراء برياسة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم .

واستمرت الثورة تمتد إلى بلاد العراق وتستولى على المرافق ودور الحكومة وثكنات الجيش وما أن انتصف النهار حتى كانت جميع بلاد العراق قد بسطت الثورة يدها على جميع ما فيها واستقرت فيها الحال وتبادل الناس التهانى وبدأ سيل التهانى من هيئات الشعب وأفراده من جميع الطبقات ينساب على قائد الثورة ومجلس السيادة ، وباركت الشعوب العربية كلها ثورة العراق وعمها السرور بتأييد الله لها ونجاحها لأن فى نجاحها انتصارا رائعا للقومية العربية .

ولكن دول الاستعمار أذهلها النبأ وكانت تظن أنها سحقت فى العراق حركة التحرر الوطنى وخيل إليها أن السكون الذى ساد العراق هو سكون الخضوع والاستسلام ولكن خاب ظنهم فقد كان هذا السكون سكون التحفز والانتفاض لإزالة الحكام الذين وضعهم الاستعمار لحكم الشعب لمصلحته فى سبيل المنافع الشخصية والذين جهدوا لإخراج الشعب العراقى من محيط القومية العربية المتحدة فدالت دولة عملاء الاستعمار فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شىء قدير » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أجل إن هذا الحادث من أخطر أحداث هذا العام ، وهو منها كما قد قدمنا مسك الختام إذ تألق فى تاج القومية العربية نجم جديد ، ورجاؤنا فى فضل الله أن يتلوه نجم بعد نجم للدول العربية حتى تتم وحدتها ويرتفع علمها الموحد مرصعا بالنجوم لكل دولة منها نجم يتألق فى الأفق وكما بدأ الإسلام غريبا حيث قام على أفراد قلائل ثم أخذ يزداد شأنه إلى أن انبسط سلطانه فى مدة وجيزة على كثير من آفاق المعمورة كذلك تعود جدته ويقوى شأنه ثانيا شيئا فشيئا ولا تزال دويلاته ودوله تتحرر وتقوى وتتجمع وتتحد حتى يعود فى مدة وجيزة سلطانه وينبسط على ما كان ينبسط فى المعمورة أو يزيد ويضيء نوره فى الآفاق على ما كان يضيء أو يزيد وتتحقق بذلك غرابة الإسلام فى عودته كما تحققت فى مبدئه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ .

وبعد : فإن مجلة الأزهر تفتتح باسم الله عامها الثلاثين فى الدعوة إلى الله ودرء الشبهات عن الدين وهدم ما يشيده الملحدون حتى يظهر وجه الإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها ، كما خلقه الله صبوحا وضاء يجذب قلوب العالمين ويهديهم الصراط المستقيم ، وذلك أول واجبات مجلة الأزهر لتطمئن إلى دخول الناس فى الإسلام أفواجا إذ هو الدين عند الله ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه .

وكذلك تحرص مجلة الأزهر فى أداء الواجب المقدس نحو هداية الناس إلى الدين على إرشادهم للتخلق بالخلق الإسلامى الكريم ، وبذل المستطاع فى تهذيب النفوس وتكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل حتى يتحقق بعد توحيد الله المقصد الأسمى الذى صرح به صاحب الرسالة فى قوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وكما تؤدى ذلك مجلة الأزهر ، تؤدى معه بدقة واجبها نحو اللغة العربية لغة الكتاب والسنة ، ومفتاح كنوز الدين .

ولا تدخر جهدا فى القصص الحق عن رجال التاريخ الإسلامى ونشر كل ما ترى فى نشره مصلحة تعود على الإسلام والمسلمين .

ونحمد الله جزيل الحمد على توفيق مجلة الأزهر لأداء واجبها كاملا ، ونرجوه أن يديم لها التوفيق فى المستقبل من أيامها ، وأن يمدها بعونه حتى نرى صورتها أتم وأكمل وأبهج وأجمل .

ونزجى جزيل الشكر لمن وفقهم الله لمساعدة المجلة على أداء رسالتها بأقلامهم وعلمهم وثقافتهم ، ونرجو الله أن يوفقهم فى المستقبل للمشاركة فى حمل ألوية الدعوة إلى دين الله ، والله المستعان ،

عبد الرحمن عيسى
مدير المجلة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٦١ —

موقف الحق من الباطل

الحاضر أشبه بالماضى

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

إبراهيم الخليل كان فى الطبقة العاشرة من أحفاد نوح عليهما السلام .

وبعد الطوفان بفترة غير وجيزة ، عمرت الأرض ثانيا بذرية كاثرة لمن كانوا مع نوح فى سفينته الناجية من الغرق ، وظهر عمرانها كذلك بكائنات أخرى من حيوان وأطيار ، كانت مع نوح فى السفينة ، ثم عاشت برعاية الله بعد ذلك ، تغدو وتروح فى فجاج الأرض وسمائها .

وقد شاء الله لخليله إبراهيم ، أن يكون كالدوحة اليانعة ، تنفح الناس بنسماتها فى الجو الهجير .

بعث الله إبراهيم ليجدد الحياة الروحية فى معشره ، ولينثر من ضوء المعرفة ما يبدد جهالة قائمة وقاتمة فيهم ، وليجتاح وثنية ناجمة فيهم .

والدعوة إلى الحق لا يسهل ترويجها ، ولا تستغنى أبدا عن جهود شاقة فى سبيلها ، ولا عن مصابرة للغواة الذين يخاصمونها ، ويتبجحون فى مقاومتها ، ويؤثرون أن يرتعوا دائما فى وادى الباطل .

وإذا كانت الأنفس غير مطبوعة من أول أمرها على المعرفة ، ولا جانحة إلى الزهادة فى شهواتها ، فلا عذر لها فى العكوف على الغى بعد أن يجيئها الناصح الأمين يستنهضها إلى الخير ، دون أجر على هذا ، ويصابرها فى التوجيه والإرشاد دون حرج عليها : إلا أنه تهذيب لهم ، وتطهير لدخائلهم ، وتقويم لحياتهم فى ضوء المعالم التى يحملها من عند الله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا إبراهيم عليه السلام - يرى من قومه ومن أبيه - آزر - شركا بالله ، وعبادة للكواكب أو الأصنام فى إصرار على ذلك .

فيوجه إلى أبيه كما وجه إلى غيره ، ويخص أباه بشىء من الإقناع ليكون فى ذلك استدراجاً للآخرين إذا لحظوا أن تتبيح الوثنية أمر يشملهم كما يشمل أبا إبراهيم أو لحظوا أن وراء الدعوة خيراً يريده لهم كما أراده لأبيه « آزر » .

دعا إبراهيم أباه إلى توحيد الله ، وساجله الحديث غير مرة حتى داخله اليأس من مطاوعته ، ولمس منه الزهادة فيما نصح به ، اشتد عليه فى الجدل وأغلظ فى الإنكار ، وقال له : « أتتخذ أصناما آلهة ؟ » وكأنه سمع جواباً غير حميد ، وصادف نقاشاً غير لين ، فقال له : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » .

ومن سنن الأنبياء والمصلحين أن يترفقوا بالناس فى دعوتهم ، ليتألفوهم ، ويهونوا عليهم ترك ما اعتادوا ، والأخذ بما لم يعهدوا ، ولكن إذا لقيت الدعوة مكابرة ، وصادفت جموداً ، واقتضى الحال أن يصارح الداعى أهل الباطل ببباطلهم فى أعنف ما يكون من القول فحينذاك لا يقال : إن الداعى أغلظ فى دعوته ، أو قسا فى لهجته ، فإن الداء الدفين يحتاج إلى استئصال ، ولا يتتلعه غير العلاج الحاسم بعد أن يكون الرفق غير مجد فيه .

وهنا لا يكون إبراهيم إلا داعياً رفيقاً بأبيه حينما صارحه بقوله : « إنى أراك وقومك فى ضلال مبين » ! ! والرفق فى الدعوة ، مع الأخذ بجانب من الشدة حين الحاجة إليها هو المنهج المشروع فى تبليغ الرسالات ، وهو المنهج المفروض على كل ذى دعوة يواجه الناس فى شأن دينى أو دنيوى .

وهو المنهج الذى يلائم الفطرة ؛ لأن الإنسان إذا نشأ على نزعة ، أو شب على عادة فهى أحب إليه من سواها حتى يردعه عنها رادع فى لين أو قسوة ، وذلك مفروغ منه . . .

هذا : وقد كانت محاولة إبراهيم أن يجارى قومه فى تقديس الكواكب ، حتى يبدو من شأنها ما لا يتفق مع صفات الألوهية المزعومة عاد بالإنكار على قومه فيما اعتقدوا من باطل نحو هذه الكواكب : رأى بالليل كوكبا واضحا ، فقال هذا ربى . فما لبث الكوكب أن أفل ، وخبا نوره فسارع إبراهيم وقال على مسمع من القوم « لا أحب الآفلين » يعنى لا يصلح هذا أن يكون ربا ، .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم رأى القمر ساطع النور فقال « هذا ربى » فما لبث القمر أن تضاءل . وأفل ، فأعلن إبراهيم أنه بحاجة إلى الهداية للحق وأن القمر لا يصلح أن يكون ربا .

وقال « لئن لم يهدنى ربى ، لأكونن من القوم الضالين » وفى هذا الندم إشعار للناس بما هم عليه من باطل واستدراج إلى الصواب الذى يغيب عنهم فى زحمة الخواطر الفاسدة .

ثم يرى إبراهيم الشمس بازغة فى ضوئها وبهجتها فيقول : « هذا ربى . هذا أكبر » ولكنها أفلت آخر النهار ، كما هو شأنها ، وكما يعلم القوم ، وحينذاك نهضت حجته وصارحهم بالبراءة من معتقدهم ، ومن شركهم ، وقال فى رفق « يا قوم ! ! إنى برىء مما تشركون » .

ثم اتجه إلى تعريفهم بالله الذى خلق تلك الكواكب ، بقدرته ، وسخرها بحكمته ، وأخضعها لأمره وإرادته « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ، حنيفا - مائلا عن الباطل - وما أنا من المشركين » .

يعنى أنه لا يتابع قومه فى تركهم ، وأنه يتجه بقلبه فى إيمانه ، ويتجه بقلبه فى عبادته إلى الله حالة كونه حنيفا آخذا بالحق فيما هو عليه مائلا عن الباطل كله .

وبهذا وصل إبراهيم فى جدال أبيه وقومه إلى دحض مفترياتهم ، وإقامة الحجة عليهم فى بيان الحق ، فمن كانت وجهته الاهتداء فقد وضحت سبيله ، ومن كانت وجهته العناد فليس بعد الحق إلا الضلال .

هذه شرعة إبرهيم فيما علمه ربه ، وهى شرعة النبيين من بعده وشرعة الإسلام فى الدعوة إلى الخير كله .

وإبراهيم هو الشجرة المورقة التى تفرعت عنها النبوة من بعده فى إسماعيل ومحمد ، وفى إسحاق وبنيه من أنبياء بنى إسرائيل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

والقصص عن إبراهيم وغيره من الأنبياء قصص حق لا مرية فيه . . وقد لا يراه البعض جديداً ، ولا حديثا ذا بال .

ولكن التوجيه الدينى الذى يساق لأجله القصص يرسم لنا طريق العبرة ويضع لنا تعاليم الهداية .

وما دمنا نعيش فى دنيانا ، ونختلط فى مجتمعنا أو نستقبل أزمنة متجددة ، أو أحداثاً طارئة ، وتطالعنا الحياة فى ألوان متعاقبة ونستهدف لأوضاع ، وشئون نحتاج فيها إلى أسباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السلامة من المكاره ، والاستظلال بظلال النعيم والطمأنينة . فلا يعتبر القصص الذى نتلوه وتسمعه حديثا معادا ، ولا تعليما مفروغا منه .

بل هو جديد دائما ، بتجدد الحياة ، مخافة أن تستبد بنا الحياة الدنيا ، وتشغلنا عن الأخذ بما رسمت لنا سياسة السماء ، فتنقطع الصلة بين الناس وربهم .

والله تعالى قد أقام دنيانا على مقتضى علمه وحكمته ، وتعهدنا فيها بالإرشاد ، ونبهنا إلى أن ذلك الإرشاد ضرورى لنا كأناس لهم قدر عند ربهم ، ولهم ميزة على سواهم ممن خلق ، وفى هذا يقول سبحانه « أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ ؟ » « ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين » - طريق الخير وطريق الشر - « ولقد كرمنا بنى آدم . . وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

وهل يعتبر القصص لمجرد التذكير بما سلف ، دون أن يكون له واقع بيننا ، فنأخذ من ماضينا لحاضرنا ، وننتقل فى ضوئه من حاضرنا إلى مستقبلنا ؟ ؟ .

ربما ظن بعض الأغرار أن القصص تاريخ محض لا صلة له بحياتنا ، ولكن نظرة يسيرة تكشف عن قرب الشبه بيننا وبين أولئك الأسلاف القدامى .

وربما وجدت كثرة مثقفة تقف من القصص هذا الموقف عينه فهم تعلموا ، ولم يتعلموا . . تعلموا دروس الملاحدة ، وتبجح بعض المتفلسفة وطربوا لما هناك من نزعات طائشة هدامة ، ولم يتعلموا شيئاً مما يكفل سعادة ، أو يهذب روحاً ، أو يربى ضميراً .

تركوا الأدب المشروع ، والثقافة الخالدة ، واتجهوا نحو الأدب الموضوع ، وأدخلوا فيه كل موبقة ، وحسبوا منه المجاهرة بالإباحية التى تأباها الفطرة حتى فطرة الحيوان الأعجم .

كان الانحراف قديماً أثراً من آثار الجهالة التى حاربها الأنبياء ثم أصبح فى عهودنا هذه أثرا من آثار التعليم المدنى الذى اقتاد الناس إلى العدوان على مقومات الإنسانية باسم الفلسفة وباسم الحرية ونحو هذا مما لا يصح أن يدخل فى نطاق التربية ، ولا يجوز أن يحمل اسم العلم إطلاقا ، وإلا كان هذا استهتاراً بالعلم ووضعا من قدره .

فليت نفحة من نفحات الله ترطب تلك العقول التى ألهبتها وساوس الشياطين ، وتقف بتلك الأفكار عند حـــد الاعتدال ، فتكون الدعوة إلى الصواب مقبولة عند أولئك المعاصرين الذين يعارضون الحق بالباطل ، وتكون دعوة المصلحين منهجاً يأخذون به ، ويؤازرونه فى التوجيه . والله يهدينا ويهدى الجميع ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الهجرة الميمونة

لقد دار الفلك دورته ، وأعاد العام الهجرى سابغ نعمته وسيرته . وأظلنا عام هجرى جديد ، رائحته ذكية ، وثناه يملأ جميع البقاع الإسلامية ، يحمل معه أمجاد الإسلام الخالدة ، ومفاخره السامقة . التى لها أصل ثابت وفرع فى السماء . وهو حادث يذكرنا بما أفاء الله على خاتم رسله من الخير لسائر الأنام ، رحمة وذكرى لأولى العقول والأحلام ! وإنا لنضرع إلى الله مخلصين فى الدعاء أن يهل علينا هذا العام الجديد حاملا بين طياته الأمن والطمأنينة لبنى الإنسان ، فى كل بقعة من بقاع الأرض وفى كل مكان ، كما نسأله أن يتم على الأمم المستعمرة نعمة الحرية والكرامة والعزة ، وأن يرفع عن أعناقها نير العبودية ، ويعزها بفخر الحرية ، وأن يجنب العالم ويلات الدمار والفناء ، ويجمع قلوب البشر على شرعة من المساواة والإخاء والعدل والسلام .

ولئن عدت الحوادث الجسام التى هزت الإنسانية فى تاريخها الطويل منذ وجدت ، لجاء حادث الهجرة فى الصدارة وفى الذروة منها ، فهو الحادث الذى غير وجه التاريخ ، وأنقذ العالم من ظلمات الجهل والفوضى والاضطراب ، وطهره من فساد العقيدة ، ووصل به إلى نور العلم والاستقرار ، وسلامة العقيدة التى أنارت القلوب وطهرت النفوس ، فأحكمت سير الجوارح وأقامتها على الطريق القويم ، والصراط المستقيم ، صراط من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

فحادث الهجرة يبعث فى النفوس ذكريات البطولة والعظمة . بطولة فى أجلى مظاهرها ، وعظمة فى أعز سلطانها ، كما يبعث ذكرى الصبر فى أكمل معانيه ، والتضحية فى مثلها العليا ، والإيثار فى أوضح صوره ، وإنكار الذات فى أرفع مثله ، وعزة النفس فى بليغ ثقتها . فقد ظل الرسول عليه السلام بمكة ثلاثة عشر عاما يبشر وينذر ، ويدعو قومه سراً وجهراً ، فما لانت لهم قناة ولا رق لأكثرهم قلب ، ولا انشرح لدعوته صدر ، لأن الحفاظ على القديم والاعتصام بالوثنية التى وجدوا عليها آباءهم لم تزدهم إلا عناداً لهذا الدين الجديد ، ولم تبلغ بهم إلا فرارا واستكبارا ، وكلما أمعن الداعى فى تبليغ رسالته أمعنوا فى المكر به . وصدق الله تعالى إذ يقول : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالهجرة أمر محتوم استدعته الظروف والملابسات ، لأن الموقف أصبح محصوراً فى أمرين إما نزول الداعى عن دعوته والرجوع عن التبشير بهذا الدين الجديد ، أو الخروج إلى مكان يطمئن فيه إلى نشر دعوته ، وأداء رسالته ، فى بلد طيب يتقبل أهله هذه الدعوة بالقبول الحسن. وكيف يكون النزول عن الدعوة من مصلح ، بله رسول صمم على القيام بواجبه والجهاد فى سبيل دعوته ، وهو الذى صور دعوته أروع تصوير حينما دعاه عمه أبو طالب للكف عما هو سائر عليه من تبليغ الرسالة ، فقال عليه السلام قولة ملأت سمع الدنيا « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وإذا ما أردنا الانتفاع بعظات الهجرة وجب علينا أن نتعلم منها كيف يكون الحفاظ على العقيدة ، وكيف يكون البذل فى القيام بواجبها ، فصاحب العقيدة الحقة يجب عليه ألا يتقيد بزمان ولا بمكان ، بل بقاع الأرض كلها ميدان له يركض أنى استطاع أن يركض ، ويوجف حيث استطاع الإيجاف، فسيره يتكيف تبعاً للظروف والأحوال، فأنت ترى النبى عليه السلام حينما أمر بالجهر بالدعوة بعد أن نزل عليه قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » يشعر بعظم الأمر ويقول لزوجه خديجة رضى الله عنها : (ياخديجة قد انقضى زمن النوم والراحة ، فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب لى ؟) . فهذه المقالة تدل على كل ما جال بخاطره عليه السلام مما تستلزمه دعوته من جد وعمل مع من أرسل إليهم من عباد الأصنام والأوثان ، وما هم عليه من فوضى واضطراب فى العقيدة الباطلة التى ورثوها ، وأصبحت طبيعة لهم لا يتزحزحون عنها ، وإن أروع مثال للتضحية فى سبيل المبدأ والعقيدة ما قام به فى عرض دعوته على ثقيف بالطائف، ورجوعه منها بشر جواب ، إذا أغروا به سفهاءهم يضربونه ويسبونه ، فلجأ إلى بستان لعقبة وشيبة ابنى ربيعة فاحتمى به من شر هؤلاء السفهاء ، وتحمل ذلك الإيذاء بصبر وجلد ، وجعل تلك الهزيمة وسيلة لمضاعفة الجهد ومضاء العزيمة .

وإن محاصرة محمد ومن تبعه فى شعب أبى طالب ، وقطع موارد التموين عنهم حتى يموتوا جوعا أو يرجعوا إلى دين آبائهم وأسلافهم، تلك المحاصرة التى استمرت ثلاث سنوات، تقاطع فيها المشركون محمداً وصحبه فلم تلن لهم قناه ، ولم تضعف لهم عزيمة ، ولم تتزعزع لهم عقيدة ، رغماً من أكلهم أوراق الشجر، فلم تزدهم الشدة إلا صلابة ولم يزدهم التعذيب إلا ثباتاً . ففى الهجرة وفى مقدماتها وفى آثارها عظات تبنى عليها دعائم أقوى الأمم وأعز الشعوب ، ومن الهجرة يجب أن نتعلم واجب الجندى مع قائده ، فالجندى يفتدى قائده بماله وروحه ، ولنا فى الحديث عن أبى بكر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رضى الله عنه وعما أداه للجندية من وفاء وإخلاص أعظم عبرة . فهو الذى ترك ماله بمكة ليفر بدينه ، ويكون بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتديا له بائعا نفسه بيع السماح : فقد وصل الرسول عليه السلام وأبو بكر إلى الغار ، فدخل أبو بكر يفتش الغار مخافة أن يكون فيه ما يؤذى من الحشرات، فقال له الرسول: مالك يا أبا بكر؟ فقال بأبى أنت وأمى! الغيران مأوى السباع والهوام ، فإن كان فيه شيء من الأذى كان على لا عليك ، وقد وضع عقبه على جحر فى الغار خشية أن يخرج منه ما يؤذى الرسول عليه السلام . وفى الإيثار الذى ظهر من الأنصار فى المدينة عظة وأى عظة ! فهؤلاء الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وهم الذين قال لهم النبى إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم من الفيء كما قسمت لهم ، وإن شئتم كان لهم القسمة ولكم دياركم وأموالكم . فقالوا: لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالفيء ولا نشاركهم فيه ، فأى سخاء يعلو على هذا السخاء ! وأى جود يصل إلى هذا الجود ! وليس عجيباً أن يكون الأنصار على هذا السمو الخلقى ، وهم الذين ارتضعوا من ثدى التعاليم الإسلامية وأشرقت قلوبهم بنورها ، ومعلمهم الرسول الأكرم ! الذى كان أجود بالخير من الريح المرسلة ! فقد عمل الإخاء الإسلامى الذى وضع الرسول أساسه بين المهاجرين والأنصار ، ما لا تعمله وسائل القهر والاضطهاد ، لأن الإخاء النابع من القلوب ينبت أطيب الثمار من المودة والألفة والمحبة ، فإذا سمينا عيد الهجرة عيد الحرية والنصر ، فذلك قول الصدق وكلمة الحق قال تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ولقد صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده . ففى العام التاسع من الهجرة خفقت راية الإسلام على أكثر بلاد العرب ، وأمن أهلها على أنفسهم ، وخرج النبى عليه السلام إلى غزوة تبوك يقود جيشاً عدته ثلاثون ألفاً ، وصاغ أهلها على الجزية . وقد كانت هذه البقاع تابعة للروم ، وفى السنة العاشرة حج النبى مع أصحابه حجة الوداع ، وخطب خطبته الجامعة التى ضمنها من التعاليم ما يكفل للمسلمين نظاما ثابتاً لدينهم ودنياهم ، فيها الخير والرشد وقد نزل عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا) ولم يكن خاتم الرسل عليه السلام أول من هاجر فراراً بدينه ودعوته من بيئة الظلم والشرك والاضطهاد والأذى ، فالقرآن الكريم يحدثنا عن كثير من الرسل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هاجروا بعد أن أبلوا وجاهدوا فى دعوة قومهم وأهلهم إلى الإيمان بأقوم حجة ، وأفصح منطق ، وأبلغ قول . وكلهم كانت هجرته تخلصا من الأمكنة التى عميت أبصار أهلها عن رؤية الحق ، وصمت آذانهم عن سماع دعوة الصدق ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب . وأى تضحية تصل إلى تضحية على وأبى بكر رضى الله عنهما لنجاح هذه الهجرة ، فكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على تبليغ دعوته ورسالته ، كان على وأبو بكر حريصين على حياة الرسول وسلامته مهما لقيا فى سبيل ذلك من الشدائد والمخاطر ؛ فقد نام على رضى الله عنه فى موضع يعلم المشركون أن النبى عليه السلام ينام فيه ، وكان على يعتقد أن المشركين لا يغفلون طرفة عين عن محاصرة الرسول وعدم تمكينه من الخروج من مكة ، ومع ذلك فقد استعد للتضحية والفداء ، وأدى هذه المهمة التى تحيطها الأخطار والأهوال .

ولقد كان أبو بكر يتقدم الرسول أحيانا فى السير ، ويتأخر عنه أحيانا أخرى . فقال له النبى لم تفعل ذلك يا أبا بكر؟ فقال أتذكر الرصد الذى أمامك فأتقدم عليك دفعا لمكروه يلحقك ، وأتذكر الطالبين لك فأتأخر عنك مواجهة للأخطار قبل أن تصل اليك . فقصة الهجرة رهيبة فى بدايتها ، جليلة فى نهايتها . فقد كانت الدعامة القوية فى بناء الدعوة الإسلامية .

ولقد أدرك أمير المؤمنين الفاروق عمر رضى الله عنه ـ بثاقب حكمته ـ وهو الملهم بشهادة الرسول عليه السلام ـ أدرك رضى الله عنه ما للهجرة من فضل وخير على الإسلام والمسلمين . فاختار الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى ؛ لأنها أروح حوادث الإسلام ، وأحفلها بجلائل الأعمال . ولما نزل النبى عليه السلام يثرب سرعان ما ألف بين قلوب أهلها من الأوس والخزرج وكانوا متباغضين فأصبحوا بنعمة الله إخوانا . ثم آخى بين الأنصار والمهاجرين أخوة فى الدين ربطت الأرواح ، وجمعت القلوب ، وكانت السبيل إلى إعلاء كلمة الإسلام . ولم تطل الأيام التى قضاها الرسول عليه السلام بالمدينة ، فقد كانت ما يقرب من عشر سنوات ، عاد المسلمون فى أواخرها إلى فتح مكة ؛ ليطهروها من الشرك ، ويزيحوا عنها دنس الأصنام ، وليرفعوا كلمة الله فى بيت الله . والمشركون لا يطيقون لهم رداً ولا دفعاً ، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا : ودخل الرسول عليه السلام مكة ظافراً قاهراً ، مع أنه خرج منها قبل ذلك فاراً بدينه ، ولقد جمع خصومه المشركين من أهل مكة وسألهم ما يظنون أنه يفعل بهم؟ فقالوا . خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . فعفا عنهم وقال لهم : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) : وإن الحفاظ على العروبة والإسلام فى هذه المحنة الحاضرة لهو أنجع علاج لهذه الشرور وتلك المخاطر . فقد عمل الاستعمار على

البقية بالصفحة التالية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « ويقلب الله الليل والنهار » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما فى الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يذوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضى الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم فى الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون فى العرق المتصبب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتى فى وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون فى الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام .

وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم النفير فى الحر ، ويغرونهم بالبقاء فى الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفريط والتقاعس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » .

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشتد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى فى جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لنرجو للمخلصين فى هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التى استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ؛ بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلها ؛ لأنه بمقدار ضعفها وذلها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خفق قلبه واصطكت أسنانه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فمكر مكراً بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن فى الحركات القوية المتعددة فى الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وليس على الله بعزيز أن يبدل عز المستعمر ذلا ، وسلطانه ضعفا ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نحن والصيف

لقد مضى الربيع وأقبل الصيف « ويقلب الله الليل والنهار » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . . . وإذا كان الربيع يذكر الإنسان بموسم الورود والرياحين ، واعتدال الجو ولطف النسيم ، فإن الصيف يذكره بفترة من فترات الاختبار والابتلاء ؛ لما فى الصيف من شدة وعنف . ولقد كان الصيف يمر على أجدادنا فيرحبون به ويفرحون فيه ، ويتخذونه فرصة من فرص التدريب للعزائم على الثبات ، والتمرين للنفوس على الاحتمال ، فكانوا يحبون الصوم فيه راضين بما يذوقونه خلاله من شدة وظمأ ، ولذلك نسبوا إلى الإمام على رضى الله عنه أن من أحب الأشياء إليه أن يصوم فى الصيف . . . وكانوا يرحبون بالجهاد فيه ، ويرون فى العرق المتصبب من جباههم أثناء كفاحهم طهوراً يذهب ذنوبهم وضراءهم ، ويحقق سعادتهم وسراءهم ، وهذه غزوة تبوك تأتى فى وقت الحر والفقر والجوع معاً ، فيسارع إليها أبناء الإيمان مستخفين بالتعب والنصب معرضين عن الراحة والهدوء ، ويخرجون فى الظمأ واللظى ليؤدبوا أعداء الله وأعداء الإسلام .

وكان المنافقون يحرضون المسلمين حينئذ على عدم النفير فى الحر ، ويغرونهم بالبقاء فى الظلال والرياش ، فلا يصغون إليهم ، ولا يسمعون منهم ؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى ، وأن عقاب الله على التفريط والتقاعس أشد وأنكى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون » .

تفريق الدول الإسلامية بعضها عن بعض ؛ ليقوى سلطانه ويشتد نفوذه ، ويسيطر على ميزان القوى فى جميع البلاد العربية والإسلامية . وإنا لنرجو للمخلصين فى هذه البلاد توفيقاً وعوناً من الشعوب التى استيقظت بعد سبات طويل ، وانتفضت انتفاضة قوية بعد رقاد ؛ بتخدير المستعمرين . فليس أطيب لنفس المستعمر من جهل الأمم المغلوبة وضعفها وذلها ؛ لأنه بمقدار ضعفها وذلها يزداد عزه وقوته وسلطانه فيها . وكلما رأى المستعمر يقظة من الشعوب المستعبدة خفق قلبه واصطكت أسنانه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، فمكر مكراً بهذه الأمم ليفوت عليها فرص اغتنام حريتها وعزتها وسلطانها . وإن فى الحركات القوية المتعددة فى الشعوب المستعمرة لتباشير قوية ، تؤذن بانبثاق فجر جديد بعد ليل طويل اشتدت ظلمته ، حتى كادت النفوس أن تيأس من انتهائه ، وليس على الله بعزيز أن يبدل عز المستعمر ذلا ، وسلطانه ضعفا ، إنه على ما يشاء قدير .

عبد الله مصطفى المراغى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهذا هو الصحابى « أبو خيثمة » يتأخر قليلا عن الخروج مع رسول الله عليه صلوات الله فى غزوة تبوك . ويعود أبو خيثمة إلى بيته فيجد امرأتين له فى عريشين بداخل حديقته وكل منهما قد رشت عريشها ، وبردت له ماء . وهيأت طعاما ، والجو حار ، والرحلة عسيرة فنظر أبو خيثمة إلى امرأتيه وما صنعتا ثم قال : « رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح (الشمس) والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ! ! ما هذا بالنصف (الإنصاف) والله لا ادخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زادا » . وخرج حتى لحق بالرسول الذى قال له : أولى لك يا أبا خيثمة ! ولما قص عليه أبو خيثمة أمره . قال له الرسول خيرا ودعا له بخير . . .

* * *

نعم جاء الصيف وفيه ترتفع درجة الحرارة ، وتتمدد الأشياء ، فتتحرك الجراثيم من مراقدها ، وتكثر الحشرات والهوام ، مما يستلزم الحيطة والحذر ، ويدعو إلى النظافة والوقاية والحرص على التطهر والنقاء . . . وبجوار هذه الحشرات والقاذورات الحسية الحقيرة تنطلق فى الصيف جراثيم بشرية وحشرات أخرى من الخلق ، لها خبثها ونجسها ، ولها شرها وضررها ؛ فمن هذه الحشرات طوائف من النساء يتهزون موسم الصيف للتعرى من الثياب والحياء معا ، ويتبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، ويبدين من الزينة والأطراف والعورات ما يثير ويفتن ، ويلبسن تلك الملابس المحزقة ، الضيقة الملصقة ، التى يعجب الناس منها ويتساءلون عنها : كيف استطاعت هذه المرأة المتبرجة أن تحشر جسمها حشرا فى ذلك الثوب الشفيف الضيق ؟ ولأى غرض أبدت من جسمها ما أبدت ، وضغطت ما ضغطت وحددت ما حددت ؟ . . . إنما فعلت ذلك لتزيد العيون الجائعة نهما وشراهة ، وتغرى الذئاب المترصدة بالهجوم والاعتداء ، وتثير فتنة جنسية ليست دواعيها قليلة . . . والأزواج ساكتون ، والآباء غافلون ، والأمهات لاهيات ، وولاة الأمور لا يتدخلون ، وليكن ما يكون ! ! . . .

وإذا وجهت اللوم أو النقد إلى فريق من هؤلاء أجابوك بقولهم : « إن للصيف حكمه » . فلا كان هذا الصيف الذى يفتح علينا أبواب البلاء بهذه الصورة ، ولا كان هؤلاء الذين يسيئون استغلال الصيف ، ، فيجعلونه موسم تحلل وفجور ، لا موسم راحة وهدوء ! . . .

* * *

ويقبل علينا الصيف فتقبل معه مأساة المصايف على الشواطئ ، حيث يفتح الشيطان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اللعين عند كل شاطئ ملهبا خطيرا خبيثا من ملاعب الإثم والفتنة ، يعرض فيه لحوم النساء المسلوخة من صيانتها وعفتها أمام أنظار الرجال المتجردين من ثيابهم وغيرتهم ، وهناك يكون ما يكون مما أصبح الحديث عنه موصوفا بالتكرار والسأم والملل ، وإن كان الواجب على دعاة الخير ألا يسئموا من معاودة النصح وتكرار التذكير ، وخصوصا أن البلاء يزداد عاما بعد عام . . . ففي الماضي كان الناس يقصدون المصايف على خجل واستحياء ، ويخلعون ثيابهم في نوع من التستر والمواراة ، وأما اليوم فلا خجل ولا حياء .

وبالأمس كان هناك من علماء الإسلام من يقاومون وباء المصايف ، ويناهضون مافيها من فجور ، وكان هؤلاء العلماء يلقون التقدير والإعجاب من الكثيرين ، وأما من يفكر اليوم في مقاومة المصايف وفجورها فإنه يكون موضع السخرية والاستهزاء ، وهكذا أصبح الحق غريبا مهضوما في دنيا الباطل العريض الأثيم . . . وبالأمس كانوا يخصصون في الشواطئ أماكن أو أوقاتا للنساء ، فأصبح النساء اليوم حريصات على ترك أوقاتهن وأماكنهن ليمتزجن بكتل الرجال العراة ، وانقلب بعض الرجال إلى تيوس ، حتى سمعنا بمن حمل زوجته حملا على التجرد من ثيابها لتنزل البحر مع مجموعة من أصدقائه ، ولما تمنعت بحكم حيائها الموروث وصفها بأنها لا تصلح لحياته الراقية ما دامت متأخرة بهذه الصورة !! . . .

ليت الذين يهرعون إلى المصايف في اختلاط فاحش ، وتحلل واضح ، وفجور وقح ، يستمعون إلى القصيدة المنثورة التي صاغها الرافعي وفيها يخاطب النساء على الشاطئ فيقول فيما يقول :

« يا لحوم البحر ، سلخك جزار من ثيابك .. جزار لا يذبح بألم ولكن بلذة ، ولا يحز بالسكين ولكن بالعاطفة ، ولا يميت الحي إلا موتاً أدبياً . . . إلى الهيجاء يا أبطال معركة الرجال والنساء ، فهنا تلتحم نواميس الطبيعة ، ونواميس الأخلاق ؛ للطبيعة أسلحة العرى والمخالطة والنظر والأنس والتضاحك ، ونزوع المعنى إلى المعنى ، وللأخلاق المهزومة سلاح من الدين قد صدئ ، وسلاح من الحياء مكسور .. يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار . الشاطئ كبير كبير يسع الآلاف والآلاف ، ولكنه للرجل والمرأة صغير صغير حتى لا يكون إلا خلوة ، وتقضي الفتاة سنتها تتعلم ، ثم تأتي هنا تتذكر جهلها وتعرف ما هو ؛ وتمضي المرأة عامها كريمة ، ثم تجيء لتجد هنا مادة اللؤم الطبيعي ... لو كانت حجاجة صوامة للعنتها الكعبة لوجودها في (استانلي) ... الفتاة ترى في الرجال العريانين أشباح أحلامها ، وهذا معنى من السقوط ... والمرأة تسارقهم النظر تنويعاً لرجلها الواحد وهذا معنى من المواخير ... أين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تكون النية الصالحة لفتاة أو امرأة بين رجال عريانين ؟ . . . يا لحـــوم البحر سلخك من ثيابك جزار . . . !

هنالك التربية وهنا إعلان الإغفال والطيش، وهناك الدين، وهنا أسباب الإغراء والزلل ؛ هناك تكلف الأخلاق ، وهنا طبيعة الحرية منها ، وهناك العزيمة بالقهر يوماً بعد يوم ، وهنا إفسادها بالترخص يوماً بعد يوم ، والبحر يعلم اللائى والذين يسبحون فيه كيف يغرقون فى البر ... لو درى هؤلاء وهؤلاء معرة اغتسالهم معاً فى البحر لاغتسلوا من البحر ، فقطرة الماء التى نجستها الشهوات قد انسكبت فى دمائهم ، وذرة الرمل النجسة فى الشاطئ ستكبر حتى تصير بيتاً نجساً لأب وأم ... يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار ...

يجيئون للشمس التى تقوى بها صفات الجسم ، ليجد كل من الجنسين شمسه التى تضعف بها صفات القلب ؛ يجيئون للهواء الذى تتجدد به عناصر الدم ، ليجدوا الهواء الآخر الذى تفسد به معانى الدم . . يجيئون للبحر الذى يأخذون منه القوة والعافية ، ليأخذوا عنه أيضاً شريعته الطبيعية : سمكة تطارد سمكة ، ويقولون : ليس على المصيف حرج ؛ أى لأنه أعمى الأدب ، وليس على الأعمى حرج ! . . يا لحوم البحر سلخك من ثيابك جزار » ! ! .

إن فوضى الاختلاط بين الرجال والنساء ـ وبخاصة فى الشواطئ والحمامات ـ يجب أن يوضع لها حد ، وأن تعالج بما يحفظ الحرمات والأعراض ، فبالأمس كان فى الناس خجل وحياء ، فيستحى الرجل من المرأة ، وتستحى المرأة من الرجل ، وأما اليوم فيصل الأمر إلى أن رواد أحد الحمامات فى فندق كبير مشهور يحتجون على صاحب الفندق ويشاجرونه ، لأنهم يريدون سيدات لتدليكهم أثناء الاستحمام فى الحمام ؛ ولما أحضر لهم صاحب الفندق رجالا أمثالهم ليقوموا بهذا التدليك رفضوا وتشاجروا مع صاحب الفندق وتضاربوا ، وانتهى الجميع إلى دار الشرطة ، ونشرت الصحف القصة المخزية المخجلة على الناس . .

وليس ببعيد أن نسمع أن النساء فى الحمامات النسائية يتشاجرون ؛ لأنهن يطالبن برجال ليقوموا بتدليكهن فى هذه الحمامات ! ! .

إن بعض مراجع الحديث تنسب إلى رسول الله عليه صلوات الله حديثا يصور ـ برغم ما فيه من مقال ـ ما بلغته الحال من سوء المآل ، فيقول : « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم ، وفسق شبانكم ، وتركتم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله . قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم اذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : يقول الله تعالى : بى حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » !! ...

وأحب أن أسأل : هل بقى حليم عاقل ولم يشعر بمرارة الحيرة والحسرة مما صار إليه أمر الأمة الإسلامية من خروج على قواعد العفة والخجل والحياء ! ؟ .

وأين حالنا اليوم فى هذا المجال من حال أسلافنا ؟ . . وهذا مثلا هو الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليه يتزوج فاطمة بنت عبد الملك ربيبة القصور والترف ، وبنت الخلفاء العظام ، ومع ذلك يحملها على منهج الصيانة والعفاف والبعد عن الشبهات وعن الاختلاط فلا تعارض ولا تقاوم ، ويأخذ أولاده وبناته بالحزم والعزم ، فلا تبرج ولا تحلل ولا اختلاط ولا اظهار لما حرم الله أن يظهر ؛ وكان عمر فى هذا المنهج قويا صارما ، حتى تريد إحدى بناته أن تتجمل فترسل إليه لؤلؤة ليرسل إليها بأختها حتى تجعلهما قرطا ، فيضع بين يديها جمرتين من النار ويقول لها : إن استطعت أن تجعلى هاتين الجمرتين فى أذنيك بعثت إليك بأخت لها ! ! . . وكأنما كان يريد أن يبعد بيته عن كل ريبة حتى يصير مثلا أعلى لبيوت المسلمين ! .

يا أتباع محمد عليه الصلاة والسلام ... إن الله تبارك وتعالى قد هيأ لنا أثناء الصيف أشياء يمكننا التنعم بها والتمتع بخيراتها فى طهارة وصفاء ... هيأ لنا البحار والأنهار ، والأشجار والأزهار ، والهواء الرقيق والنسيم العليل فى الأصائل والأمسيات ، ومن الممكن للمسلم أن يأخذ من كل هذه الأشياء نصيبه الملائم فى اعتدال واستقامة وعائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما تخبرنا بأنه ما تمتع الأشرار بشىء إلا تمتع به الأخيار وزادوا عليه رضا الله ... فلنقف على أبواب الصيف متدبرين مفكرين ، متذكرين أن لنا دينا ، وأن لنا أخلاقا ، وأن لنا حرمات ، وأن كلا منا راع ، وكل راع مسئول عن رعيته ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاسلام والطب الحديث

على هامش المؤتمر الطبي للسرطان

يتقدم العلم كل يوم خطوات تكشف من أسرار الكون ما يبهر ويدهش ، وتفتح من مغاليق الغيب ونواميس الوجود ما يسوق النفوس إلى الإيمان بوحدة الديان .

وفى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وفى كثير مما يكشفه العلم من الحقائق والأسرار ما يطابق ما قرره الإسلام وكان محجبا بالأستار حتى فض العلم خاتمه وأوضح مبهمه .

وهذه الحقائق جديرة أن يتدبرها المنصفون وبخاصة الماديين الذين أخلدوا إلى الأرض ودانوا بالحسيات ، فلا يؤمنون إلا بما يرون ويسمعون ، وتخبطوا فى ظلمات الشك وتشعبت بهم مسالك الضلال .

لقد نهج الإسلام بالبشرية مناهج تحوطها بالرعاية والعناية ، وقرر لها أحكاما ظهرت الحكمة فى كثير منها وخفيت علينا فى بعضها ، وكان ذلك الخفاء مثار تشكك وجدل من مدخولى الإيمان وذوى الأغراض والأهواء والمفتونين ببعض المعارف . ولطالما نادى المؤمنون هؤلاء المغرورين أن يقتصدوا فى الحكم ، ويلتزموا جانب الحيطة والحذر والأدب فيما لا يفقهون من علل الأحكام ، حتى تواتيهم آيات الله وتستبين لهم مقاصدها وحكمها ، ولكن سائق الغرور كان يلهب ظهورهم فيمعنون فى الغى ثم لا يقصرون .

لقد جاء الإسلام بتعاليم تتصل بالطب ، التقت فى غاياتها بما قرره الطب وأثبت فائدته ، فلم تعد مجالا للمناقشة والجدال ، وكان يكفى فى تقدير الإنصاف أن يقاس عليه ما لم تستبن فائدته ، فيقتنع المنصف بما فيه من خير ، وما يدعو إليه من رشاد ، مادام المصدر واحدا ومبعث النور والهدى واحدا . لقد حرم الإسلام الميتة والدم والخمر ولحم الخنزير ، وظل الناس أحقابا يجهلون البواعث على ذلك والسر فيه حتى جلاها العلم ، وكشف عن وجه الأذى فيها ، فازداد المؤمنون بها إيمانا ، وأقصر من فى قلوبهم مرض عن التشكك فى جدواها والمكابرة فى مزاياها ، ومنع الإسلام من تلويث المياه بالنفايات ، وظللنا نجهل السبب فى ذلك أيضاً حتى كشف العلم من مقدار الخطر فيها ، وأن الماء الملوث مباءة الجراثيم لأمراض البلهارسيا والإنكلستوما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وغيرهما ، فكان ذلك التوافق مبعث الدهش والإعجاب من العلماء والأطباء ، وممن يصدعون بالحق ولا يعاندون الحقائق .

وفى تعاليم الإسلام مما يتصل بالطب ما لم يصل العلماء بعد إلى تبيان وجـــه المصلحة فى تقريره ، وما زال العلم يواصل الخطى فيه ، ويأتى كل يوم بجديد يثلج النفس ، ويشرح الصدر ، ويقرر وجه الإعجاز فى تعاليم أتى بها نبى أمى لم يتل من قبلها من كتاب ولم يدرس فى جامعة ولا كتاب .

لقد انعقد فى القاهرة فى شهر مايو من هذه السنة المؤتمر الأول للجمعية العلمية للسرطان ؛ للبحث فى شئون مرض السرطان وما يتعلق به من وقاية وعلاج ، وهذا المرض ـ ونسأل الله العافية ـ من الأمراض المستعصية، التى لم يتوصل العلم والعلماء رغم الجهاد المتواصل إلى كشف حاسم فى علاجه ولا إلى الأسباب التى تحدثه وكشف المؤتمر فى هذا الصدد عن حقائق خطيرة تتلاقى مع نظر الإسلام فى بعض تعاليمه، وإنها لحقائق ما كانت تدور فى خاطر الأطباء ورجال الدين وعلماء النفس من قبل لولا هذه الصدف العلمية الموفقة ، وكثيراً ما كانت الصدف خيراً، على الإنسانية، فأفادت منها وجنت من ثمارها .

لقد كشف هذا المؤتمر عن وجـه الحكمة فى امتداد إرضاع الطفل حولين كاملين ، فقرر « أن فى هذا الامتداد وقاية فى كثير من الأحيان من سرطان الثدى فى النساء ، لكثرة امتصاص الطفل لثدى أمه ، وأنه لهذا يرى أن من أكبر الخطأ أن تضن الأم على طفلها بالإرضاع ، وهى بهذا تعرض نفسها لهذا المرض الخطير ، وقد ثبت من الإحصاء فى اليابان أن اليابانيات من أقل نساء العالم المتحضر إصابة بهذا النوع من السرطان ؛ لأن الأم اليابانيـة ترضع ابنها حولين كاملين ، ولعل فى هذا ما يعلل ازدياد حالات سرطان الثدى فى بلادنا ـ مصر ـ لضن الأمهات الملحوظ فى العصر الحديث على أولادهن بالرضاعة الطبيعية أو تعجلهن بالفطام » .

وقد التقى المؤتمر فى هـذه الحقيقة بما قرره الإسلام من جعل مدة الرضاع عامين حيث جاء فى الكتاب الكريم : « ووصينا الإنسان بوالديه ؛ حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله فى عامين » . ومما كشفه المؤتمر فى هذا الصدد « أن ختان الصبيان واق من سرطان القلفة وهى الجلدة التى تزال بالختان ، فقد اتضح أن الفضول التى تتجمع فى هذه القلفة بها مادة لذاعة قادرة على إحداث السرطان » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأدعى من ذلك إلى التأمل أن وجود القلفة بما فيها من الفضول يزيد من احتمال إصابة الزوجة بسرطان عنق الرحم من تأثير هذه الفضول» . وقد التقى المؤتمر فى هذه الحقائق بما سنه الإسلام من الختان دفعا لما أسفر عنه الكشف العلمى من الأضرار ، وقد أخرس المؤتمر بما قرره ألسنة الذين كانوا يجادلون فى جدوى هذه السنة ، تأثرا بما جرت به العادة فى بعض الأمم وفى بعض الأديان ، حتى كابر بعضهم فزعم أن فى تلك الشعيرة أضرارا صحية ينبغى لها الإقلاع عنها .

ومما كشفه المؤتمر أيضا « أن عامل النظافة للجهاز التناسلى فى المرأة يقلل كثيرا من احتمال تعرضها لسرطان عنق الرحم » . وقد تلاقى فى هـــذا مع تعاليم الإسلام التى شرعت الاستنجاء للمرأة والرجل كمقدمة للصلاة .

هـذه بعض الحقائق الطبية التى كشف عنها مؤتمر السرطان ، قرأناها مبهورين مأخوذين بما تلاقت فيه مع تعاليم الإسلام ، ويلاحظ أنه مؤتمر خاص فى فرع من فروع الطب ، كشف ما كشف من هذه الحقائق الخطيرة . فكيف إذا تظاهرت مؤتمرات لعرض ما تمخضت عنه عقول العلماء فى سائر نواحى الكون ، ونواحى النفس الإنسانية ، وما يعرض لها من شئون نظمتها تعاليم الإسلام مرشدة مرة ، وآمرة أخرى ، وناهية مرة ثالثة ، إنها إذن بما تكشف عنه مما يتفق وتعاليم الإسلام ستأخذ بيد الحيارى ممن يؤمنون بالعلم ، ويجافون دعوة الدين إلى النهج المستقيم ، وتطامن من غرورهم ، وتجديفهم فى الحقائق التى أسدلت حجبها دون أهل المعرفة الحقة ، وتدعوهم إلى التسليم فيما لا يعرفون إلى من يعرفون . وخاصة فى حقائق الأديان التى ثبتت ثبوتا قاطعا بما كشفه العلم وحققته التجربة .

إننا إذ نرحب بالمكتشفات التى أسفر عنها مؤتمر السرطان ، لا نعنى بذلك أن نلتمس منها الأدلة على صحة ما جاء به الإسلام من تعاليم ، وحاشانا ذلك فهو دين الله الذى ارتضاه ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وإنما نرحب بها لنضعها أمام الحائرين وذوى القلوب المريضة ، تجلية لمصالح البشر فى بعض ما شرع الإسلام . عسى أن يكون ذلك داعيا إلى تعديل مناهجهم فى البحث العلمى ، والتحلى بشيم العلماء ، والوقوف دون ما لا يعرفون ، وتسليمه إلى أهل الذكر ممن يعلمون .

أبو الوفا المراغى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حصوننا مهددة من داخلها

فى الجامعة العربية

— ٤ —

كنت فى الجزء الماضى من هذه المجلة على موعد مع قرائها بتقديم الأمثلة على الدعوة الهدامة فى كتاب (مختارات من إمرسون) الذى ترجمته جامعة الدول العربية بمشورة السفارة الأمريكية ، و (قصة الحضارة) الذى أوصت به اليونسكو .

يقول إمرسون مخاطبا قراءه (وإنى أنصحكم قبل كل شىء أن تسيروا وحدكم وأن ترفضوا النماذج الطيبة ، حتى تلك التى يقدسها الناس فى خيالهم . وتشجعوا على محبة الله بغير وسيط أو حجاب . وسوف تجدون من الأصدقاء من يكفى لأن يطلعكم على أمثال وزلى وأوبراين والقذيسين والأنبياء — وتأمل أين يضع هذا الملحد الهدام الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه — لكى تقتدوا بهم . اشكروا الله على هؤلاء الرجال الأخيار ، ولكن ليقل كل منكم « أنا كذلك إنسان » . . . إن التقليد لا يمكن أن يرتفع فوق النموذج . . . كل منكم منشد من منشدى الروح القدس ولد حديثا . فلينبذ وراءه كل تقليد وليعرف الناس مباشرة بالله — ص ٨٥) . وواضح من هذا الكلام أن ذلك المفسد المضل يريد أن يجعل كل الناس أنبياء . معتمدا على ضعف المغرورين والمفتونين ، الذين يريد أن يخيل إليهم أنهم لا يثبتون وجودهم إلا عن طريق نبذ الدين ، ويزعم لهم أنهم جميعا على صلة صحيحة وثيقة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ تمكنهم من معرفته ومن تعريف الناس به .

ومن أمثلة هذه الآراء الهدامة التى تستتر وراء الدعوة الخلابة إلى التحرر الفكرى كذلك قوله : (من أراد أن يكون رجلا ينبغى أن ينشق على السائد المألوف . ومن أراد أن يجمع ثمر النخيل الخالد ينبغى أن لا يعوقه ما يسميه الناس خيرا . بل يجب عليه أن يكتشف إن كان ذلك خيرا حقا . لا شىء فى النهاية مقدس سوى نزاهة عقلك . حرر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفسك لنفسك يؤيدك العالم . . . الخير والشر اسمان يمكن فى سهولة شديدة أن ينتقلا إلى هذا أو ذاك ، والشيء الوحيد الصحيح هو ما يتبع تكويني ، والشيء الوحيد الخطأ هو ما يقاومه ص ١٣٢) .

ومن سفسطة ذلك المفسد الهدام قوله (إن الثبات على رأى واحد هو غول العقول الصغيرة الذى يقدسه صغار السياسيين والفلاسفة ورجال الدين . أما الروح العظيمة فليس لها ألبتة شأن بهذا الثبات ، وإلا فإنها تأبه لظلها فوق الحائط . انطق بما تفكر فيه الآن فى ألفاظ قوية . وانطق بما تفكر فيه غدا فى ألفاظ قوية كذلك ، حتى إن ناقض ما قلته اليوم . وإذن فثق أنك سوف يساء فهمك . وهل من شر الأمور أن يساء فهمك ؟ لقد أسيء فهم فيثاغورس وكذلك سقراط ويسوع وكوبرنكس وغاليلو ونيوتن وكل روح طاهرة عاقلة تجسدت . لكى تكون عظيما لابد أن يساء فهمك ـ ص ١٣٩) .

فلينظر القارئ أى دعوة هذه إلى التخبط والغرور ، وإغراء ضعاف العقول بما يجرئهم على خوض كل مجهول ، وتناول كل مغيب مستور ، وهتك كل مقدس مصون والخبط فى كل تيه واعتساف كل طريق ، بما يفسد عليهم وعلى الناس الحياة ويحولها إلى جحيم لا سكن فيه ولا قرار ، يتنابذ أهلها ويتدابرون ويعتركون ولا يتفقون على رأى ولا يسكنون ولا يطمئنون ، حتى لكأنهم أهل جهنم (كلما دخلت أمة لعنت أختها) .

على مثل هذا الغرور الشديد الفاسد المفسد فى تقدير الفرد يقوم الكتاب كله . ويبلغ هذا الفساد وهذا الغرور حد الكفر المجنون فى بعض الأحيان . وذلك فى مثل قوله (إن من ينبذ الدوافع العامة الإنسانية ويجرؤ على الثقة العامة فيما تمليه عليه نفسه لابد أن يتميز ببعض صفات الآلهة ص ـ ١٥٤) .

فهل تعرف خرفا وراء هذا الخرف ؟ ومع ذلك فقد يظن بعض صغار العقول وضعاف النفوس هذا الجنون ضربا من ضروب الفلسفة ؛ لأنهم لا ينسبون عجزهم عن فهمه إلى فساده ، ولكنهم ينسبونه إلى ضعف عقولهم عن إدراكه . وهذا الكاتب وأمثاله يعتمدون على أن الأذكياء سوف يجدون فى كلامه ما يرضى غرورهم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما الأغبياء فسوف يقفون أمامه مشدوهين كأنهم أمام معجزة . أما الشباب فسوف يجدون فيما يتضمنه من الثورة التى تحطم ولا تبقى ولا تذر مجالا للتنفيس عن نشاطهم ونزوعهم إلى إثبات وجودهم من كل وجه .

ويتعقب ذلك الصهيونى الهدام شعائر الدين كلها بالتسفيه والسخرية اللاذعة . فالصلاة عنده وهم ليس فيه من الشجاعة أو الرجولة بمقدار ما فيه من القداسة (ص١٥٦) . والتوبة والندم نوع آخر من الصلاة الزائفة ونقص فى الاعتماد على النفس وعجز فى الإرادة ، والرحمة والعطف لا تقل عن الندم وضاعة (ص ١٥٧) ، و (العقائد الدينية الشائعة قد تفوقت على الخرافات التى حلت محلها فى الظاهر فقط لا فى المبدأ - ص ١٧٣) . ألا ترى من ذلك كله أن هـذا المفسد يريد ثورة تقلب موازين الدين والخلق وكل شىء ؟ بلى . وهو نفسه يعرف ذلك ، فهو يفسد ويعلم أنه يفسد ، أى أنه هدام محترف يفسد عن وعى منه وقصد ، والدليل على ذلك قوله (نريد رجالا ونساء يجددون الحياة ويجددون حالتنا الاجتماعية . ولكننا نجد أن أكثر المطابع مفلسة - ص ١٥٤) وقوله (إن تدبيرنا المنزلى ضعيف ، وفنوننا ، وأعمالنا ، وزواجنا ، ودیننا ، لم نختره لأنفسنا . وإنما نحن جنود فى غرفة الاستقبال ، نتحاشى معركة القدر الحامية التى تتولد فيها القوة - ص ١٥٥) . وقوله (ومن اليسير أن نرى أن مزيداً من الثقة بالنفس لا بد أن يحدث انقلابا فى جميع وظائف الناس وعلاقاتهم ودياناتهم ، وفى تربيتهم ، وفى أهدافهم وأساليب عيشهم واجتماعهم وفى امتلاكهم وفى آرائهم التى يتدبرون - ص ١٥٦) .

ذلك هو لب الكتاب الذى أوحت به السفارة الأمريكية لطه حسين ، فترجمه بأموال العرب ، وأهداه إلى شبابهم ومفكريهم . ولعنة الله على شياطين الجن والإنس « يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا » .

وقد يبدو فى بعض مقالات الكتاب - كما هى العادة فى كل نشرات الهدامين - صورة خداعة للإيمان ، فى مثل مقالات (الحب) و (الصداقة) . ولكن هذا الإيمان الزائف ليس إلا الشرك الخداع الذى يجذب الأغرار ، إذ يوهم القارئ أن الرجل صادق الإيمان ، وأن ضلالاته وإلحاده ليست إلا ضربا من التصوف ، وأن سخطه على الأديان وطقوسها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هو ضرب من السمو الروحى الذى يستهدف إصلاحها وتنقيتها من الشوائب كما يزعم كل أمثاله من الهدامين .

أما (قصة الحضارة) لول ديورانت (Will durant) فقد أصدرت منه اللجنة الثقافية حتى الآن ستة عشر جزءاً ، ويكفى أن نراجع من هذه الأجزاء العديدة الجزءين اللذين تناولا حياة سيدنا عيسى وحياة سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام لنتبين أن اختيار هذا الكتاب للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية فى زوايا اليونسكو ونفذتها بيد طه حسين وأمثاله فى جامعة الدول العربية .

يتساءل مؤلف الكتاب إن كان المسيح عليه السلام قد وجد حقاً (١١ : ٢٠٢ - ٢٠٥) ويثير حول الأناجيل مختلف الشبهات (١١ : ٢٠٦ - ٢١١) ، ويشكك فى نسبه وفى أنه ولد من عذراء (ص ٢١٤) . وينكر كل معجزاته فينسبها جميعاً إلى الكذب والتلفيق ، أو يردها إلى خداع الحواس والوهم أو ما سماه « العلاج النفسى» (ص ٢٢١-٢٢٢) ويتناول شخص المسيح عليه السلام وكلماته وروايات الأناجيل بالسخرية ، فيقول مثلا (إن الإنسان ليجد فى الأناجيل فقرات قاسية مريرة لا تواتم قط ما يقال لنا عن المسيح فى مواضع أخرى منها . ويبدو أنه قبل دون بحث وتمحيص أقسى ما كان يؤمن به معاصروه عن جهنم السرمدية التى يعذب فيها من لا يتوبون من الكفار والمذنبين بالنار التى لا تنطفىء أبداً والديدان التى لا تشبع من نهش أجسامهم .

وهو يقول دون أن يحتج عليه أحد إن رجلا فقيراً فى الجنة لم يسمح له بأن يترك نقطة واحدة من الماء تسقط على لسان غنى فى الجحيم . . . ويلعن شجرة التين التى لم تكن تحمل ثمرا . ولعله كان قاسيا بعض القسوة على أمه . وكان يتصف بحماسة النبي العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى - ص ٢١٩) . وأكثر هذه المفتريات التى حشدها ذلك الصهيونى الهدام فى كتابه ، مروية عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس .

ويمثل هذا الأسلوب الإلحادى الهدام عالج المؤلف حياة نبينا عليه الصلاة والسلام فى الجزء الثالث عشر . ففى هذا الجزء من الكتاب أخبث أساليب الكيد والدس الإسلام . والمؤلف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يلجأ هنا إلى الهجوم البذيء الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم عليه السلام . ولكنه يتظاهر هنا بالإنصاف . بل يبدو فى بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبى عليه الصلاة والسلام . فيقول مثلا (وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح فى دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم - ص ٢٤) . ويقول فى موضع آخر (ذلك أن النبى كان ينشئ حكومة مدنية فى المدينة . واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءا متزايدا من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعى والأخلاقى والعلاقات السياسية بين القبائل ص ٣٣) ويقول (وحتى شئون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض فى بعض الأحيان كأنها موحى بها من عند الله) .

وكان اضطراره إلى تكييف هذه الوسيلة السامية بحيث تتفق مع الشئون الدنيوية مما أفقد أسلوبه بعض ما كان يتصف به من بلاغة وشاعرية . ولكن لعله كان يشعر بأنه بهذه التضحية القليلة جعل كل تشريعاته تصطبغ بالصبغة الدينية الرهيبة - ص ٤٢) . وهو فى هذه المواضع كلها يتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلا مصطنعا إلى إنصاف نبى لا يدين هو بدينه . فهذا الكلام المشبع فى ظاهره بروح المودة يخدع كثيرا من المسلمين فيتقبلونه بقبول حسن . وينتهى بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحدا من الزعماء والفلاسفة والمفكرين والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب فى العصور القديمة والحديثة ، فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك . لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقادا خالصا لا يدخله ريب أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله . ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول إن هذه الروح اللادينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هى التى تسود دراسات التاريخ الإسلامى فى الجامعات . وذلك شىء يلمسه كل من تخرج فى كليات الآداب أو اتصل بها عن قريب . ومالى أذهب بعيدا وهذا هو محمد بدران - مترجم هذا الجزء - يقدم لى الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر فى مقدمته أن (المؤلف قد أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفضلها) .

يقرر المترجم المسلم ذلك فى سذاجة تبلغ حد الغفلة والبله ، مع أن ذلك الصهيونى الخبيث لا يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم إلا الغرائب التى يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغير الخبير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط وتدعو إلى الاشمئزاز . كالذى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويلقى فى الحبل . ويخفى ما اجترح من مفاسد وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله صلى الله عليه وسلم امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنهما هجواه (ص ٣٥) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادئ رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه أو يحتمل به ، فلا يكاد القارئ المسلم يتنبه إلى غرضه الخبيث الذى هو فى حقيقة الأمر التشنيع بالنبى عليه الصلاة والسلام عند المخدوعين بما تزوره الصهيونية الهدامة من كلمات براقة ، حين تدعو إلى (حرية الهدم) وإلى (حرية الإفساد) وتسمى ذلك (حرية الرأى) ، وليوهم أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن يرعى حرمة للنساء ولا للشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله (وضمت صفية ـ وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة لكنانة ـ إلى نساء النبى ـ ص ٣٩) .

فمثل هذه الألغام التى يدسها الرجل فى ثنايا سطورة تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمنتحلين منهم للحضارة الغربية المتخلقين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة ! وليس هذا فحسب . بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جنسها فأضافها إلى نسائه العديدات ! هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشنيع فى أخطر صوره ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ويتظاهر بالاتزان والإنصاف ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براءة النبى فى القيادة وفى شئون الحكم وفى التنظيم الاجتماعى .

ومن أمثلة هذا الأسلوب الخبيث وصفه النبى صلوات الله وسلامه عليه بأنه كان (يعنى بمظهره الشخصى ويقضى فى تلك العناية كثيرا من الوقت . فكان يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويلبس خاتما نقش عليه « محمد رسول الله » . وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل . وكان صوته موسيقيا حلوا يأسر القلوب . وكان مرهف الحس إلى أقصى حد ، لا يطيق الروائح الكريهة ولا صلصلة الأجراس والأصوات العالية . . . وكان قلقا عصبى المزاج . يرى أحيانا كاسف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث ـ ص ٤٥) . فهذا الأسلوب المسموم فى التصوير إنما يريد أن يصور النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة المتصابى وفى صورة العصبى المزاج المريض الأعصاب المصاب بالصرع . ويؤكد هذا الصهيونى الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله (وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب . ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وظن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت [١] . فأصبح بعد ذلك الحين عرضة لحميات ونوبات غريبة . وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته فى ظلام الليل ، ويزور القبور ، ويطلب المغفرة للأموات ، ويدعو الله لهم جهرة ، وينبئهم على أنهم موتى . ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه الحميات - ص ٤٦) .

وجاء فى هذا الجزء من الكتاب أيضا (وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفى أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة - ص ٣٤) . ويحاول المؤلف أن يلبس هذه الأكاذيب وهذا التشنيع المفترى ثوب العلم فيقول (واجتمعت أسباب عدة عملت كلها على انساع ملك العرب . فمن الأسباب الاقتصادية أن ضعف الحكومة النظامية فى القرن السابق لظهور النبى قد أدى إلى انهيار نظم الرى فى جزيرة العرب فضعفت من جراء ذلك غلات الأرض الزراعية وحاقت بالسكان المتزايدين أشد الأخطار . ولهذا فقد تكون الحاجة إلى أرض صالحة للزرع والرعى من العوامل التى دفعت جيوش المسلمين إلى الفتح والغزو - ص ٧١ ، ٧٢) .

أترى إلى هذا الكلام المسموم الذى يصور المسلمين الأولين - وعلى رأسهم النبى صلى الله عليه وسلم - فى صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، والذى ينزل بدوافع الفتح النبيلة إلى أغراض مادية ، فينقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين فى نشر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا فى سبيل ما أعده الله لهم من ثواب الجهاد فى نشر دينه ، ينقلب ذلك النفر الكريم إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق . لماذا تؤذى جامعة الدول العربية المسلمين والعرب بإذاعه ؟ لماذا تنفق على نقله إليهم من أموالهم ، كأن مهمتها هى إسماعهم ما يكرهون وإحصاء ما قيل فيهم من الثناء وإذاعته على الناس ؟ إن الحكومات تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التى تفترى عليهم والتى تثبط عزائمهم وتفرق كلمتهم ، وتنفق فى مقاومة مثل هذه الإذاعات الآلاف والملايين فى بعض الأحيان . فهل دين الناس أقل قداسة وأهون مقاما ؟ .

لا يكفى فى دفع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى بالتعليق على ما يراه مستحقاً للتعليق ، فيعلق على بعض ويهمل بعضا ،

---

١ - تأمل حرص هذا العصبوني على تبرئة اليهود من التهمة الملتراة إذ يقول « وظن أن يهود خيبر »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأن السذج والغافلين وقليلي الخبرة بتاريخ المسلمين - وليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم - إن قرءوا ما فى هذه الحواشى واقتنعوا به مرة فقد يهملونها وقد تستغويهم أباطيل الكتاب مرات . فما هى حاجتنا أصلا إلى ترجمة مثل هذه المفتريات ؟ أى فائدة تعود على العرب من نقل مثل هذا الكلام ، حتى يغضوا الطرف عما فيه من الأذى ؟ هل هذا مما يزيد العرب تماسكا ؟ أم هو مما يعينهم على النهوض ؟ لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التى تتكلم عن نبينا عليه الصلاة والسلام بوصفه مصلحا لا نبيا ، وقد كان من آثار مثل هذه الدعايات - ولا أقول البحوث - أن افتتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجا لبحوثهم الإسلامية ، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلميته ، كما زعم لهم طه حسين فى كتابه (الشعر الجاهلى) الذى سيق بسببه إلى المحاكمة . وقد أصبح التاريخ الإسلامى ، بل الدراسات الإسلامية فى كل فروعها ، لا تدرس فى الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام . إن طه حسين الذى بدأ حياته العلمية متهما فى دينه ، يتسلق إلى الشهرة بمخالفة كل مقدس مصون وكل مقرر ثابت ، حين كان الإلحاد بدع العصر يجاهر به الملحدون ويتظاهر به صغار النفوس والعقول من الأدعياء ، هذا الرجل نفسه هو الذى يشرف على اختيار مثل هذه الكتب لتترجم على نفقة العرب ، وليثقف بها ناشئتهم ويشد بها أزر جامعتهم . وأى جامعة قد بقيت للعرب ، ولجنتهم الثقافية تؤذى إيمان المؤمنين مسلمهم ومسيحيهم ؟ تؤذى المسيحيين مرة وتؤذى المسلمين مرتين . تؤذيهم فى نبيهم عليه الصلاة والسلام مرة وتؤذيهم فى شخص المسيح الكريم عليه السلام مرة أخرى ، ثم تعتذر لهم عن جرأة المؤلف على الإسلام وافترائه على نبيه الكريم بجرأته على اليهودية والمسيحية وافترائه على رسوليهما الكريمين (ص ٢١) . فهل سمع الناس عذراً أقبح من هذا العذر الذى لا يصدر إلا عن جهول ؟ هل يعتذر عن رجل سب أبى بأنه لم يسب أبى وحده ، ولكنه سب آبائى كلهم أجمعين ؟ !

وبعد فإنى أستغفر الله سبحانه وتعالى لنفسى ولقارئ هذه المفتريات ، فإنما قصدت أن أضع بين يديه جسم الجريمة ؛ ليرى رأى العين طه حسين يحمل أوزاره فوق ظهره ، وليطالب الناس المسئولين بكف أذاه إن كان فيهم بقية من غيرة على إسلامهم وعلى شخص نبيهم الطاهر الكريم ؟

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صلات مصر الثقافية
ببلاد آسيا وغيرها

ادخر الله ـ جلت قدرته ، وسمت حكمته ـ مصر لتكون معقلا لدين الإسلام ومنارة للهدى والعرفان ، منها تشع أضواء التوحيد ، وتنتشر تعاليم الشريعة السمحة إلى ربوع الأرض فى كل مكان ، كما حملت فى القديم مشعل الحضارة ، والعلم للإنسانية جمعاء . ففيها الأزهر ، تلك الجامعة العتيقة ، تأذن الله أن يجعلها نبع العلوم والمعارف ، وحصن الإسلام الخالد ، ومعقل لغة الضاد من قديم الزمن ، وعلماؤه قدوة الشرق والغرب ، وهم الهداة الذين لا يشق لهم غبار ، وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر الدكتور عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر ، الذى لا يألو جهدا فى العمل على رفع شأن الأزهر والإسلام ، والدعوة إلى السلام ، لإسعاد الإنسانية .

والذى يعنينا فى هذه الكلمة هو أن نبين حاجة العالم الإسلامى إلى هذا المعهد العظيم ، وأثره فى حياة الأمم الإسلامية عموما ، والآسيوية خصوصا ، وعناية رجاله بأحوال هذه الأمم .

فإذا كانت مكة المكرمة بكعبتها المباركة ، مهوى أفئدة المسلمين للعبادة والنسك ، فيها المثابة والأمن ، فكذلك أضحت مصر بأزهرها محط الرحال ، وقبلة رواد العلوم والمعارف ، ومركزاً للثقافة الفكرية والإسلامية ، بعد أن قضى التتار على التراث الإسلامى فى بغداد .

لذلك اتجه العالم الإسلامى على اختلاف ألسنته وألوانه ، منذ قرون عديدة ، فأخذ يرسل فلذات أكباده إلى الأزهر ، إذعانا لقوله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ذلك الأزهر الذى قام على حفظ اللغة والدين آمادا طويلة ، ونيف على الألف عام وهو يؤدى رسالته الخطيرة إلى الإنسانية فى الشرق والغرب ، رغم ما يتعرض له فى كثير من الأحيان ، من عواصف وأحداث على مر الزمن . وفى كلمة اللورد كرومر حين عاد إلى « بريطانيا » : « ما دام الأزهر فى مصر فلن يثبت قدم الاستعمار فى بلاد الشرق » ما يدل على ذلك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأزهر لم يخلق لمصر وحدها ، بل هو الدعامة الكبرى التى ترتكز عليها الحياة الروحية والخلقية للعالم الإسلامى ، فلقد عنى أشد العناية بخدمة هـــذا الجانب من الحياة الإنسانية فى آسيا وفى غيرها .

فأنشأ لذلك « مراقبة البحوث والثقافة » التى تقوم بإرسال المصاحف والمؤلفات العلمية إلى المكتبات فى كثير من الدول ، وترسل مناهج الدراسة إلى المؤسسات العلمية وتقوم بالفصل فى كثير من المشاكل الدينية والثقافية الدراسية ، التى تتعلق بحياة الناس التعبدية والعملية ، وتقوم باستقبال وفود الزائرين من كبار الشخصيات الإسلامية وبعثات المعاهد العلمية من سائر الأقطار ، وتقوم بالإشراف على المعاهد الدينيه فى البلاد الإسلامية : بإرسال المبعوثين إليها ، مثل معهد الكويت وغيره .

وأنشأ الأزهر « مراقبة البعوث الإسلامية » وتقوم بالإشراف الإدارى على الطلاب الوافدين على الأزهر ، وترعاهم من الناحية النظامية والمادية ، وتسهر على راحتهم .

كما أنشأت مشيخة الأزهر « مجلة » تحمل رسالة تلك الجامعة إلى بلاد الا
لتكون حلقة اتصال فكرى وثقافى ، بين الأزهر وتلك البلاد التى
ومرآة صافية يرى فيها المسلمون أسرار دينهم ، ومحاسن تشريعهم ، ومدى اتساع أفق هذا الدين لكل مما يجد فى الكون من المستحدثات ، التى تعود بالخير والصلاح على الإنسانية ، ولتحمل ماتنتجه قرائح أعلام العلماء ، وحفاظ الشريعة من الأحكام والآراء ، فى مختلف شئون الحياة ، مما ينصب للناس معالم الهداية ، ويرسم لهم طريق الخير والشر .

كما تعنى « مجلة الأزهر » بدفع الشبه والمفتريات والأفكار الهـــدامة ، التى تدسها أقلام الملاحدة ، وذوو الأهواء والبدع ، باسم حرية الفكر تارة ، وباسم التجديد والإصلاح تارة أخرى ، مما يفسد على الناس عقائدهم ، ويشككهم فى دينهم .

وتعتبر المجلة معينا صافيا ، يتلطف منه العلماء والكتاب شذرات لترجمتها ، ونشرها فى أمهات الصحف والمجلات .

وأنشأ الأزهر « لجنة للفتوى » مكونة من جهابذة العلماء على المذاهب الأربعة وغيرها ، تقوم بالإجابة على الاســـتفتاءات الكثيرة المتنوعة ، بفتاوى مستفيضة على جانب كبير من الأهمية ، يتلقى المسلمون حكمها فى إذعان وتسليم ، لثقتهم العظيمة فى رجال الأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى شهر رمضان من كل عام ، يقوم الأزهر بإرسال أفاضل الهداة والمرشدين إلى مختلف البلاد الإسلامية ، الآسيوية وغيرها ، لإحياء ليالى هذا الشهر المبارك ، بالمحاضرات التى تدعم الحياة الروحية ، وتزكى الجوانب الخلقية فى نفوس المسلمين .

والأزهر يستقبل الوافدين من الطلاب ، من مختلف بلدان العالم . وقد بلغ عددهم خمسة آلاف طالب من بلدان آسيا وغيرها ، ولكل جماعة من عنصر واحد رواق يعين له شيخ منهم يرعى مصالحهم ، وعدد الأروقة ٢٢ رواقا ، تمثل البلاد الإسلامية المتعددة ، كأندونيسيا والصين والفليبين والملايو والهند وسيلان ومالديف وأفغانستان ، وغيرها من البلاد العربية والإسلامية ، وقد أنشأت حكومة الثورة لهم مدينة ، تعتبر أضخم مدينة لطلاب العلم .

وقد تخرج من هؤلاء الطلاب فى ربع القرن الأخير ما يقرب من ألف متخرج من آسيا وحدها ، وكثير منهم يشغلون مناصب خطيرة ، فى بلادهم وغيرها ، فمنهم الوزراء والسفراء ... الجامعات ، وعمداء الكليات ، والمستشارون والمفتون ، والقضاة والأساتذة ... غير ذلك من المناصب الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية ، ويضيق ... بهم وبلادهم .

هذا ولم يكتف الأزهر بتلقى البعثات الوافدة ، والقيام بتعليمها ، بل أوفد كذلك بعثات من خيرة أساتذته إلى بلاد آسيا وغيرها منذ سنوات عدة ، تشاركه فى ذلك وزارة التربية والتعليم ، والجامعات المصرية .

فأوفد بعثة إلى الصين عام ١٩٣٣ م ، مكثت هناك أربع سنوات ، قامت فيها بأعمال جليلة فأنشأت مكتبة بكين الإسلامية الكبرى ، وأوفد بعثة إلى اليابان عام ١٩٣٦ م ، وأوفد بعثة إلى الهند عام ١٩٣٦ م لدراسة أحوال المسلمين هناك ، والتوفيق بين طوائفهم . ويقوم الآن بإرسال مبعوثيه إلى معظم البلاد الإسلامية ، ولا سيما الآسيوية لمثل هذه المهمة .

هذا هو الأزهر بثقافاته ، وعلومه ومعارفه وجهوده ، يلم شعث المسلمين ، ويوجههم إلى خير الدنيا والآخرة .

ومن العجب أنه مع هذا كله يدور فى أذهان بعض دعاة الاستعمار ، فكرة يريدون بها انتزاع الزعامة الدينية ، والثقافة الفكرية والإسلامية من مصر . وأنى لهم ذلك ! فقد توفر للأزهر العتيق ما لم يتوفر لغيره ، فهو جامعة مصر الكبرى ، التى تزعمت العالم فى القديم بحضارتها التاريخية الخالدة ، وفى الحديث بثقافتها الإسلامية المتمثلة فى الأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأنى لغير مصر بحافظ القرآن عن ظهر قلب ، وأدائه فى طلاقة وفصاحة ، من مئات الألوف على هذه الصورة من الجلال والجمال ، التى ينتظرها ملايين المسلمين فى الصباح والمساء من إذاعة مصر ، والقرآن هو المحور الذى تدور عليه زعامة الإسلام .

ولا غرو فقد حبا الله مصر موقعاً جغرافيا يعتبر فى قلب الدنيا ، ومناخا طيبا جميلا يناسب جميع الوافدين من مختلف الأقطار ، لم يتوفر لبلد غير مصر .

وإزاء تلك الخدمات التى أدتها مصر عن طريق الأزهر للعالم الإسلامى قروناً عديدة ، كان الواجب على هؤلاء الدعاة أن يعملوا على تدعيم الأزهر ، وعلى مساندة مصر فى شخص لأزهر ، وليعلموا أن زعامة مصر للعالم الإسلامى وراثية ، ورثتها جيلا بعد جيل وفيها الخير كل الخير للإسلام والمسلمين ، وسجلتها الوقائع التاريخية ، فقد سجلها صلاح الدين برد الصليبيين عن بلاد العروبة والإسلام ، كما سجلها من بعده الملك المظفر سيف الدين قطز ، والظاهر بيبرس بصد جحافل المغول والتتار كذلك ، والتاريخ حافل بمواقف كثيرة لمصر فى الذود عن بيضة الإسلام ضد أعدائه فى كثير من البلاد الإسلامية .

وقد تأكدت هذه الزعامة بإنشاء المؤتمر الإسلامى ، لمؤازرة الأزهر فى القيام برسالته ، فى صيانة العقيدة الإسلامية ، ودفع خطر الاستعمار السياسى والدينى واحتضان البعوث الإسلامية ، الوافدة على مصر من أربع وخمسين دولة .

وقد تجلت مظاهر هذه الزعامة فى التفاف المسلمين ، ومؤازرتهم لمصر إبان الهجوم الثلاثى الغادر عليها . وقد ازدادت تبعات هذه الزعامة بعد أن استكملت مصر أسباب القوة ، وظلت حفيظة على مقدسات الإسلام مذ زوت ثقافته من جميع البلاد ، واحتضنتها مصر ، وصانها الأزهر هذه الحقبة الطويلة .

فمصر تعتبر بحق أستاذ العالم الإسلامى ، منذ أنشئ الأزهر ، وعمرت حلقاته بدروس الدين والفكر واللغة .

وإن على حكومة الثورة فى عهدها الزاهر ، وعلى رأسها محرر مصر وحامى القومية العربية « الرئيس جمال عبد الناصر » .

أن تؤكد هذه الزعامة ، وتعمل على إبقائها بما تتطلبه تلك الزعامة من تدعيم للأزهر ومساندة له فيما يريد من إصلاح ، والله ولى التوفيق ؟

محمد حسن درويش

شيخ معهد البعوث الإسلامية بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حرية الفكر

كما قررها الاسلام

لقد أتى على جماهير الناس حين من الدهر ، كان مبلغهم من العلم بالدين أنه مجموعة من العقائد والأعمال التى لا مجال فيها للعقل ، ولا متسع فيها للبحث والنظر ؛ لأن القادة الدينيين الذين استمدوا قيادتهم من وحى الأهواء وطغيان الشهوات ، كانوا يقولون لمن يلقنونه هذه العقائد والأعمال ، « أطفىء مصباح عقلك ثم اعتقد وأنت أعمى » فلا يباح له أن ينظر فيها بعقله وفكره ، وإنما عليه أن يتلقاها بالتسليم المطلق والتقليد الأعمى ، وبذلك سيطروا على عقولهم وأفهامهم ، وسلبوهم حريه الفكر واستقلال الإرادة ، وفرضوا عليهم ماشاءوا من العقائد التى اختلقوها بأهوائهم ، والشرائع التى ابتدعوها بجهلهم وضلالهم ، وبقى هذا الضلال شائعا فى عقائدهم وأعمالهم ، حتى جاءهم الإسلام فى جلال الحق وصفاء النبع ، ليضع عنهم تلك الأغلال التى كانت جاثمة على عقولهم وأفكارهم ، ويزيل هذه الأكنة التى كانت مضروبة على قلوبهم وأبصارهم ، فنادى بصوت ملأ الخافقين وأسمع الثقلين ، أنه الدين الذى يساير الفطرة والوجدان ، ويحكم الحجة والبرهان ، ويطالب العقلاء بالبحث والنظر ، وتحكيم العقول ومراجعة الضمائر ، والاهتداء بنور العلم والمعرفة ، وأقام صرح هذه الدعوة التحريرية على الدعائم الآتية : —

الدعامة الأولى : تحرير الإنسان من الحجر العقلى والكبت الفكرى ؛ لكى يكمل بذلك عقله ويستقيم تفكيره ، وتكتمل له شخصيته وإنسانيته ، فإن كمال العقل هو الدعامة الأولى لصحة العقائد وكمال الأخلاق وصلاح الأعمال ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن الأحمق يصيب بجهله اكثر من فجور الفاجر ، وإنما يرتفع العباد غداً فى الدرجات الزلفى عند ربهم على قدر عقولهم » ، « ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى ، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله » .

ولقد عنى القرآن ببناء هذه الدعامة عناية كبرى ، فاستنهض العقول والأفهام ، وأيقظ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحواس ونبه المشاعر ، وطالب العقلاء بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ، والتعرف على أسرار العوالم الكونية ونواميسها . وما فيها من الدلائل على وجود الله ووحدانيته فى ألوهيته وربوبيته . كما قال جل شأنه « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها . فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » وأكثر من ذكر الآيات الكونية ومطالبة العقول بالنظر فيها ، كما يتجلى ذلك فى التعقيب عليها بمثل قوله جل جلاله « لقوم يعقلون » ، « لقوم يتفكرون » « أفلا تعقلون » ، « أفلا تبصرون » وذم الغافلين ونعى عليهم غفلتهم وإعراضهم عن دلائل هذه الآيات ، كما فى قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » ، « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » وبشر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ومدحهم وأثنى عليهم كما قال تعالى « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » .

الدعامة الثانية : تحرير الإنسان من رق التقليد الأعمى ، وتربيته على حرية الفكر واستقلال الإرادة ، واحتقار التقليد والتبعية العمياء ؛ فإن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات ، فإنه هو السبب الأول فى الجمود على الأباطيل الموروثة ، وإهمال مواهب الفكر والنظر ، وعدم التمييز بين الحق والباطل ، وفى ذلك جناية على الحق وتدسية للنفس ، وقتل للمواهب وامتهان للعقول ؛ وهو الباعث القوى على الوقوف فى طريق الإصلاح والمصلحين ، وقيام التعصب الجماعى لحماية المعتقدات والعادات الموروثة ، ومحاربة كل جديد يكشف عن زيفها وباطلها ؛ لأن العقائد والمذاهب إذا قامت على أساس الوراثة وتقليد الآباء والأجداد ، فإن ذلك يضفى عليها قداسة تستحوذ على عواطف الوارثين لها ، وتصرفهم عن التفكير فى مدى صحتها أو بطلانها ، وتحملهم على التعصب الجماعى لحمايتها والإبقاء عليها ومعارضة كل جديد يخالفها أو ينتقص من قداستها ، ولو كان ذلك الجديد أهدى منها سبيلا وأقوم طريقا ، وقد قرر القرآن هذه الحقيقة فى آيات كثيرة ، كقوله تعالى : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم . قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون » « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد » فانظر كيف يفعل التعصب الجماعى بأهله . فقد كانت صناديد قريش يعرفون رسولهم كل المعرفة ويعلمون صدقه وأمانته حق العلم . ولكن التعصب القائم على تقديس ما وجدوا عليه آباءهم ، هو الذى حملهم على التنكر لنبوته ورسالته . ورميه بأنه ساحر كذاب ، ووصف التوحيد الذى جاءهم به بأنه شيء عجاب . والتواصى بالصبر والثبات على شركهم وضلالهم . ولو أنهم سلكوا طريق التحرر من سلطان التعصب الجماعى . الذى أرشدهم إليه القرآن بقوله « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . مابصاحبكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » وقاموا لله مثنى وفرادى . وخلا كل منهم بصاحبه أو بنفسه ، يستطلع رأيه ويستكشف سره ، ويستوحى عقله ويستفتى قلبه ، لزالت [illegible] عقدها التعصب على القلوب والأبصار . ولعلموا أن صاحبهم صلوات الله [illegible] بس به من جنة كما يفترون . وما هو إلا نذير لهم بين يديه عذاب شديد .

ومن هنا يتجلى لنا السر فى تمسك الأمم بالعقائد والمذاهب الموروثة ، وإن كانت لا تقوم على أساس من الحق . ولا تعتمد على نظر صحيح ، ولا تتفق مع ما بلغته من الرقى العقلى والتقدم العلمى . وفى أن التقليد الأعمى من شر ما تبتلى به الأفراد والجماعات كما قلنا ، ولهذا كان لابد للإسلام وهو يقيم دعائم التحرير ويبنى قواعد الإصلاح ، أن يحمل حملة قوية على التقليد والمقلدين ، فعاب على المقلدين إعراضهم عن الحق ، وجمودهم على متابعة ما وجدوا عليه آباءهم من الضلال والانحراف ، ونعى عليهم جهلهم وافتراءهم على الله الكذب ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء . أتقولون على الله ما لا تعلمون » وسجل عليهم ما يقع منهم فى الدار الآخرة ، من الاعتراف بما جنته عليهم الطاعة العمياء لسادتهم وكبرائهم ، كما قال تعالى « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهكذا كشف الإسلام عن مدى جناية التبعية العمياء على الأتباع والمتبوعين ، وقضى على سلطة المتألهين من ذوى القيادة الضالة والزعامة الزائفة ، وخلع عنهم رداء القداسة التى انتحلوها لأنفسهم . واتى جعلتهم فى نظر المخدوعين فيهم أربابا من دون الله تعالى ، وأهاب بأسرى التقليد والتبعية العمياء . أن يحرروا أنفسهم من هذه العبودية التى أهدرت كرامتهم وإنسانيتهم . وأن يعلموا أن الإشقاء والإسعاد . وربوبية التشريع والعبادة . أمور خالصة لله ملكا واستحقاقا . وأن أساس الإيمان الصادق والدين الخالص . هو التسليم الكلى لشرع الله الذى أنزله على رسوله ، كما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « أفحكم الجاهلية يبغون . ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون » « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

الدعامة الثالثة : تحرير الإنسان من عبادة الأهواء والخضوع لسلطانها . فإن الهوى مضلة للعقل . ومضيعة للحق . لا يستقيم لصاحبه رأى . ولا يعتدله قصد . ولا تسلم له طوية . ولا يخضع لحق ليس فى جانبه . ولهذا عنى القرآن بتحرير الإنسان من عبودية الأهواء عناية كبرى . فندد بالعاكفين على تأليه الأهواء وعبادتها . كما قال تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة . فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون » « فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم . ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين » ونعى عليهم أخلاقهم وسوء طوياتهم . كما فى قوله تعالى « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفى قلوبهم مرض ، أم ارتابوا ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » هذه هى أخلاقهم فى الماضى وفى الحاضر . يستفتونك فى الأمر وصدورهم منطوية على رأى دفين . فإن أفتيتهم بما فى أنفسهم فرحوا ورضوا ، وإن أفتيتهم بغيره سخطوا وأعرضوا ، وسخروا منك ما شاءوا وشاءت أخلاقهم ، وإذا دعوتهم إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلتهم بالتى هى أحسن ، ركبوا رءوسهم ولجوا فى عتو ونفور ، وخاضوا فى جدال عنيف ونقاش عقيم ؛ لأنهم ليسوا طلاب حق وهدى ، وإنما هم أصحاب غرض وهوى ، لأن طالب الحق يطلب ما يطلب من حكم ورأى وهو مجرد عن كل هوى يطاوعه أو غرض

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يتابعه ، ومستعد لقبول الحق والتسليم به متى ظهر له ، وذلك هو منطق العقل وطريق الوصول إلى الحق ، أما أن يضع المستفتى نصب عينيه رأيا معينا . ويطوى نفسه على هوى دفين ، ويأبى إلا أن يكون الحق تابعا لرأيه وهواه ، فذلك هو منطق القلوب المريضة ، ومسلك النفوس العليلة ، ووحى الأهواء المؤلهة . « ولو اتبع الحق أهواءهم ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » .

الدعامة الرابعة : تحرير الإنسان من مرض الجهل وظلمته . فإن الجهل يطفئ نور القلب ، ويقتل مواهب الفكر ، ويميت فى الأمم عناصر الحياة والقوة . ويفقدها قوة الإرادة وصدق العزيمة ، وقد عنى الإسلام بهذه الدعامة عناية كبرى . فرفع شأن العلم وحث على طلبه ، وعظم شأن العلماء وأعلى منزلتهم ، وجعلهم رواد الحق ودلائل الهدى ، كما فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يتذكر أولو الألباب » ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة » . « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها . ولا يضره من أى وعاء خرجت » .

وأنحى باللائمة على الذين يتبعون الظنون والأوهام ، ويجادلون فى الله بغير علم ، كما قال عز وجل « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » وبذلك فتح الإسلام لأهله طريق المعرفة وأعد قلوبهم للحياة بنور العلم ، ووجه عقولهم للبحث والنظر . وأرشدهم إلى أن العلم هو سبيل سعادتهم فى الدنيا والآخرة ، فإن الإسلام إذ يمتدح العلم ويرفع من شأنه ، ويحث المسلمين على طلبه والاهتداء بنوره ، إنما يريد به العلم الذى يوضح لهم معالم السعادة فى المعاش وفى المعاد ، ويكشف لهم عن أسرار الكائنات ، ويعد لهم وسائل الحياة والقوة ، ويبنى لهم قواعد السيادة والمجد ، ولقد عمل المسلمون الأولون بهذا التوجيه الإسلامى ، فكانوا رسل الهداية وقادة الإصلاح وأساتذة العالم بلا منازع .

هذه هى الدعائم التى رفع الإسلام قواعدها ، وفتح بها للإنسان طريق التحرر الفكرى والاستقلال الإرادى ، وبوأه المنزلة اللائقة بكرامته ، وعرفه أن الله لم يخلقه عبدا يقاد كما تقاد الأنعام ، ولم يجعل لأحد حق السيطرة على عقله وقلبه ، وإنما خلقه حرا مالكا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأمره ، يفكر بعقله ويعمل بإرادته ، ويستمع إلى دعوة الحق ، ويهتدى بنور العلم ، ويسترشد بدلائل الكائنات ، ويعتبر بما يجرى فيها من الحادثات ،

« وبعد » فقد تبين لنا من كل ما تقدم .

(١) أن التقليد الذى ذمه الإسلام وشدد النكير على أهله ، إنما هو التقليد الذى يقوم على العصبية الوراثية والنعرة الطائفية ، والذى لا يميز بين الحق الذى أنزله الله على رسوله ، والباطل الذى أوحت به الشياطين إلى أوليائهم ، ولا يفرق بين التقليد فى الخير والتقليد فى الشر . وأما تقليد الأئمة الذين استنارت قلوبهم بهدى الكتاب والسنة ، وامتلأت نفوسهم برهبة الخوف من القول فى دين الله بغير حجة ، فليس من قبيل التقليد والتبعية العمياء ، وإنما هو من قبيل القدوة الصالحة المستبصرة ، والأسوة الحسنة الواعية ، ومتابعة غير العالم لأهل العلم والمعرفة ، لقوله تعالى « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث العرباض بن سارية « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » فالاعتصام بكتاب والسير على سنن الخلفاء الراشدين والأئمة الراسخين فى العلم ، هما سبيل النجاة من والاختلاف ، وطريق العصمة من ضلال الرأى وطغيان الهوى .

(٢) أن حرية الفكر التى قررها الإسلام وجعلها حقا للإنسان ، هى التى تنبثق من نضوج العقل ونور العلم واستقامة التفكير ، وتقوم على قضايا الحق والمنطق ، وتحكيم الحجة والبرهان ، واحترام النصوص الشرعية وتقديمها ، والتزام قواعد الاستدلال التى جرى عليها أئمة المسلمين فى فهمها والاستنباط منها ، اذ لو وكل أمر الدين إلى الناس يحكمون فيه أهواءهم وأفهامهم كما يشاءون ، ويقبلون ويردون منه كما يشتهون ، لصار أمر الدين فوضى لا ضوابط له ولا حدود ، واختلت موازين الحق والباطل ، فإن العقول والأفهام متفاوتة ، والنوازع والأهواء متحكمة ، والكملة من أهل الحق فى كل زمان ومكان قليلون . وبالجملة هى الحرية التى تصلح العقائد ولا تفسدها ، وتبنى المجتمعات الصالحة ولا تهدمها . وتجعل من أهل الرأى قادة مصلحين لا قادة مضللين .

أما الحرية الفكرية التى لا تتقيد بقضايا الحق والمنطق ، ولا تلتزم قواعد النظر والاستدلال ، ولا تعبأ بحرمة النصوص الشرعية وقداستها ، ولا تبالى بالخروج على الأصول

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلامية المتررة ، ولا تعتمد إلا على الجهل والسفسطة ، والغرور والغطرسة ، إذ ليس لها رائد من الحق تلتزم طريقه ، ولا هدف من الإصلاح تسلك سبيله . وإنما رائدها مرض القلوب وطاعة الأهواء ، وهدفها الإفساد والهدم والإغراق فى الفجور والتحلل . فتلك حرية متحللة فاجرة . لا يبيحها الإسلام ولا يرضاها لأهله . لأنها سبة للعقل وعار على العلم ، وضلال فى التفكير وفساد فى الأرض .

فيامن أوسعتم لحرية الرأى مجالا غير محدود ، واصطنعتم لها معنى غير معقول . وأطلقتم ألسنتكم وأقلامكم تتهجم على قدسية الدين وتعاليمه ، وتشكك الناس فى أصوله ومصادره ، وتهدم صروح الفضائل باسم الإصلاح والتجديد . راجعوا عقولكم وضمائركم فيما تصنعون ، فما هكذا تكون حرية الفكر وقيادة الرأى ، وما هكذا يكون الإصلاح والتجديد ، واتقوا الله فى أنفسكم وأممكم وأوطانكم ، فإن الدنيا متاع قليل وإن جل فى أعينكم ، وما هى إلا قريب وإن بعد فى أمانيكم ، وساعة الحساب آتية لا ريب فيها . ولا مفر من الجزاء ، « يأيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

يس سويلم طه
المفتش بالأزهر

من وحى الهجرة

هجـــرة كان بها أسمى الظفر ... لك يامن رمت تحرير البشر
جمعت كل عظات وعـــبر ... تمـــلأ النفس بأنوار اليقين

من قصيدة للأستاذ

عبد الرحمن نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

في الميزان :

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

في رمضان من عام ١٣٦٤ أغسطس عام ١٩٤٥ نشر الأستاذ محمود أبو رية مقالا بالرسالة العدد « ٦٣٣ » تحت عنوان « الحديث المحمدى » ضمنه آراءه في بعض مباحث الحديث وذكر أنها خلاصة كتاب سينثر . فلما قرأته وجدت فيه عزوفا عن الحق والصواب في بعض ما كتب . فأخذت بالقلم وكتبت ردا أرسلت به إلى « الرسالة » فنشر بالعدد « ٦٤٢ » وقلت في ختام الرد « وحيث أن المقال خلاصة كتاب سينثر ، فإني لأهيب بالأستاذ أن يراجع نفسه في بعض هذه الحقائق التي تكشفت له ، وليكر بالتمحيص والتدقيق . وعلم الحديث ليس بالأمر الهين . والبحث فيه [illegible] وتمحيص وتدقيق » وقد أبى الكاتب أن يسلم بكل ما أخذته عليه فكتب ردا [illegible] نشر بالرسالة العدد « ٦٥٤ » وذكر في مقدمة رده أن مقالي « ينزع إلى الحق ويطلبه . وأنه يستحق العناية ويستأهل الرد » ، ثم تريث الأستاذ في نشر ما عن له من فصول هذا الكتاب فقلت : لعله راجع نفسه .

وفي عامنا هذا « ١٣٧٧ — ١٩٥٨ » طلع علينا الأستاذ أبو رية بكتاب تحت عنوان « أضواء على السنة المحمدية » فقرأت الكتاب قراءة باحث متثبت مستبصر فإذا هو صورة مكبرة لما أوجز في مقاله القديم . وإذا بالمؤلف لم يغير من أفكاره إلا في القليل النادر . فعزمت على الرد عليه ردا مسهبا . ولا سيما وأن الكتاب أحدث بلبلة في الأفكار عند من لم يتعمقوا في دراسة السنة . وقوى عزمي على الرد رغبات الكثيرين من الفضلاء . الذين لا يزالون يذكرون ردي الموجز القديم وحسن ظنهم بي .

وقد رأيت أن أنشر هذه الردود على صفحات مجلة الأزهر « الزهراء » وأي مجلة أحق بمثل هذه البحوث من مجلة الأزهر ؟ وهي لسان الأزهر وحاملة لواء الإسلام والتعريف به والذب عنه . وإليها يسكن المسلمون في جميع أقطار الأرض ، وقد آثرت أن أقدم بين يدي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

النقد التفصيلي للكتاب صورة موجزة ، وإن شئت فقل خطوطا عريضة تعطينا فكرة عن الكتاب وطريقة مؤلفه ومنهجه فى البحث ، وإليك البيان :

(١) إن المؤلف يدعى دعاوى عريضة ولا يدلل عليها . أو يحاول أن يدلل عليها ، فيعوزه الدليل ، أو يستدل فيأتى الدليل قاصرا عن الدعوى . . . وذلك مثل ما ذكره فى ص ٥ من (أن علماء الحديث قد بذلوا أقصى جهدهم فى دراسة علم الحديث من حيث روايته . . . على حين أهملوا جميعا أمرا خطيرا كان يجب أن يعرف قبل النظر فى هذا العلم ودرس كتبه ـ ذلك هو البحث عن حقيقة النص الصحيح لما تحدث به النبى صلوات الله وسلامه عليه ، وهل أمر بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه ؟

وهل ما روى منه قد جاء مطابقا لحقيقة ما نطق به النبى ـ لفظا ومعنى ـ أو كان والراسخون فى العلم أن كل ما ادعى أنهم أهملوه جميعا قد قتلوه بحثا ـ مثل ما ذكره فى ص ٧ من (أنه وجد أنه لا يكاد يوجد فى كتب ما سموه صحيحا أو حسنا ـ حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . .) ومثل قوله فى ص ١٣ « ولما كان هذا البحث لم يعن به أحد من قبل . . رأيت أن أسوى منه كتابا مبوبا جامعا أذيعه على الناس حتى يكونوا على بينة من أمر الحديث المحمدى ، وفى الحق أنه ما من بحث عرض له إلا قد أشبع العلماء فيه القول ، ولندع التدليل إلى مقام التفصيل . . .

(٢) إن المؤلف اعتمد فى التدليل على بعض ما ذهب إليه على كلام المستشرقين ! ! ! أى والله المستشرقين ، وذلك كما فعل فى ص ٨١ ، ١٧١ ، ١٧٢ . وكيف خفى على المؤلف الحصيف أن المستشرقين ـ إلا القليل منهم ـ يحملون الضغن للإسلام والمسلمين ، وأنهم نفثوا سمومهم فى بحوث ادعوا أنها حرة نزيهة ؟ ـ وما هى من النزاهة فى شىء ـ وأن من مقاصدهم تقويض صرح الإسلام الشامخ ، وذلك بتقويض دعامتيه ـ القرآن والسنة ؟ ـ وأنهم لما عز عليهم التشكيك فى القرآن ـ على كثرة ما حاولوا ـ ركزوا معظم جهودهم فى السنة بحجة عدم تواترها فى تفصيلها ؟ فلبسوا الأمر على بعض الناس حتى كان من أثر ذلك ما يطلع علينا به بعض الباحثين فى الأحاديث النبوية بين الحين والحين ومنهم الأستاذ المؤلف من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آراء مبتدعة جائرة ، ويشهد الله أنها مصنوعة فى معامل المستشرقين ثم استوردها هؤلاء فيما استوردوا من أفكار وادعوها لأنفسهم زورًا وبهتانا .

(٣) إن المؤلف أفاض فى بعض المباحث وأكثر من النقول وذلك لكى يرتب عليها ما يريد من نتائج هى أبعد ما تكون مترتبة عليها ، وذلك كما صنع فى مبحثى الرواية بالمعنى وضررها الدينى واللغوى والأدبى ، بينما أوجز إيجازا مخـــلا فى بعضها كما فعل فى مبحثى العدالة والضبط !! وهل تعلم أن هذين المبحثين اللذين يقوم عليهما علم الرواية ونقد المرويات فى الإسـلام لم يحظيا من الكتاب إلا ببضعة أسطر ؟ والذى يظهر لى أنه أمر مقصود من المؤلف . ذلك أنه لو ذكر شروط العدالة والضبط على ما أصلها وقعدها أئمـــة الحديث وصيارفته ، لعـاد ذلك بالنقض على كثير مما ذكره المؤلف فى كتابه من استنتاجات لا تسلم له . ولا أكون مغاليا أو متعصبا إذا قلت : إن الأصول التى وضعها علماء أصول الحديث لنقد المرويات ، هى أرقى وأدق ما وصل إليه العقل البشرى فى القديم والحديث وسأفيض فى بيان ذلك عند النقد الموضوعى إن شاء الله .

(٤) من عجيب أمر هذا المؤلف أنه يستشهد بأحاديث موضوعة ما دامت تساعده على ما يريد ويهوى من آراء .

وذلك مثل ما فعل فى ص ٢٩ من استشهاده بما روى أن عمر حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا الدرداء فى المدينة على الإكثار من الحديث فإنه خبر ظاهر الكذب والتوليد - كما قال ابن حزم - ونسبته روايته إلى ابن حزم ليس من الأمانة العلمية فى النقل . ومثل حديث عرض السنة على القرآن فهو موضوع باتفاق الأئمة على حين حاول أن يشكك فى أحاديث صحيحة ثابتة مثل حديث « ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » فقد نقده من ناحية متنه موهما اختلاقه ص ٢٥٢ . وطعن فى حديث الإسراء والمعراج وحمل موسى محمداً عليهم الصلاة والسلام على مراجعة ربه ، واعتبر ذلك من الإسرائيليات ص ١٢٣ . كما اعتبر ذكر المسجد الأقصى فى حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . » من الإسرائيليات ص ١٢٩ . والإمام ابن تيمية وهو من أئمة المنقول والمعقول وينقل عنه المؤلف كثيراً فى كتابه . احتج بهذا الحديث ولم يبد عليه أى مأخذ من المآخذ ، وهو من الأحاديث التى اتفق عليها الشيخان البخارى ومسلم إلى غير ذلك مما ستعلم الكثير منه عند ما نتعرض للنقد التفصيلى . ولا أكاد أعلم للمؤلف سلفاً فى الطعن فى هذه الأحاديث من الأئمة اللهم إلا أن يكون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السادة المستشرقون وهى شنشنة نعرفها من أخزم ، ولعل مما يؤسف ويدهش أنه اعتبر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذى رواه البخارى وغيره « إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن » خرافة من خرافات كعب الأحبار امتدت إلى تليذه عبد الله بن عمرو (ص ١١٤) . ولا أدرى كيف يتفق هذا وقول الحق تبارك وتعالى « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل الآية » الأعراف ١٥٧ .

٥ — جارى المؤلف المستشرقين حينما تكلم عن العصبية المذهبية والسياسية فى فصل الوضع فحكم على كل ما يدل على فضيلة لصحابى أو يشهد لفكرة أو رأى بأنه موضوع وهو تصرف لا يرتضيه المنصفون المتثبتون ، ولا ترتضيه قواعد البحث النزيه المستقيم ، فمن ثم طعن فى كثير من الأحاديث الصحيحة فى الفضائل ، وغير معقول ألا يكون لصحابة النبى الذين مثلهم فى التوراة والإنجيل ـ فضائل فى جملتهم وألا يكون لبعضهم من الفضيلة والمزية ما ليس للآخر . فادعاء أن كل ماورد فى الفضائل أو كل ما يشهد لفكرة أو رأى موضوع ـ إفراط وإسراف فى الحكم بغير دليل . وكذلك ادعاء أن كل ما ورد فى الفضائل ونحوها صحيح ، تفريط وتقصير فى البحث ، فلم يبق إلا الطريق الوسط العدل وهو الطريق الذى يهتدى فيه الباحث بصحيح النقد وصريح العقل إلى التمييز بين الصحيح وغير الصحيح ، وبيان المقبول من المردود ، وهذا هو ما صنعه جهابذة الحديث وأئمة النقد فى موقفهم من أحاديث الفضائل ونحوها .

٦ — لقد تحامل المؤلف تحاملا لا يرتضيه المنصفون لذى دين وخلق ـ على صحابى من صحابة رسول الله وهو أبو هريرة رضى الله عنه ، ونحن لا ندعى العصمة لأحد من البشر حاشا الأنبياء ، ولكننا نريد أن ننزل الناس منازلهم فى الفضل والعلم ، ولانحجر على العقول فلكل باحث أن ينتقد ويبدى ما يشاء من آراء فى حدود قواعد النقد الصحيحة ، ولكننا نحب للناقد أن يأخذ نفسه بأدب النقد ، وأن يراعى النصفة ، وأن يكون عفيف القول ، كريم التعبير مترفعاً عن الإسفاف ، كما هو الشأن فى العلماء ، وقد كان سلفنا الصالح يختلفون ويتجادلون ، ولكنهم كانوا يحلقون فى سماوات من العفة والترفع عن الهجر من القول ، والإنصاف وعدم التجنى .

ولا أدرى كيف استباح المؤلف لقلمه فضلا عن أدبه أن يرمى أبا هريرة بكل جارحة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من القول تعليقاً على كلمة لسيدنا أبي هريرة قالها تحدثا بنعمة الله عليه [١] . قال المؤلف ما نصه ص ١٨٧ « ولقد استخفه أشره وزهوه - يعني أبا هريرة - ونم عليه أصله ونحيزته فخرج عن حدود الأدب والوقار ! مع هذه السيدة الكريمة ، فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان يحلم به : إني كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني ، فكنت إذا ركبوا سقت بهم وإذا نزلوا خدمتهم والآن تزوجتها ، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني .. الخ .

ومما أخرجه ابن سعد أنه قال : أكريت نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي . فكانت تكلفني أن أركب قائما وأورد حافيا . فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله . فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية .

ويعلق الباحث الأديب على هذه العبارة . فيقول بالهامش ما نصه : انظر إلى هذا الكلام الذي تعرى عن كل مروءة وكرم . واتسم بكل دناءة ولؤم . فتجده يباهي بامتهان زوجه والتشفي منها . وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق[٢] ! . ويحسبي أن أضع هذه العبارات . التي نضحت بها نفس المؤلف الأديب بين يدي القراء . وسأدع الحكم عليه . لمحكمة الأدب السامي . والضمير الإنساني . وسيكون الحكم - ولا ريب - قاسيا .

هذا إلى ما جاء في تضاعيف كتابه من رمي المنتصرين للسنة المخالفين له في آرائه بالحشوية حينا . وبالمقلدة والجامدين حينا آخر . إلى غير ذلك مما ينبغي أن ينزه التأليف والنقد عنه .

هذا وليطمئن المؤلف أبو رية . أني لن أتعرض لعقيدته ومذهبه ونشأته . ولا لكرم أصله أو عدم كرمه . ولا لمروءته أو عدم مروءته . إلى غير ذلك مما تناول به السيد الجليل أبا هريرة . فقد أخذت نفسي منذ أمسكت بالقلم أن أترفع عن مثل هذه السفاسف ... ! والسباب والشتم إنما هما بضاعة العاجز الذي لا يسعفه المنطق السليم والحجة الدامغة . ولن يرى مني إلا النقد الموضوعي للكتاب . ومن الله أستمد العون والتوفيق . فاللهم أعن وسدد !

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين

---

[١] في الإصابة عن مضارب قال كنت أسير من الليل فإذا رجل يكبر فقلت ما هذا قال : كثر شكر الله على أن كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان ثم ذكر القصة .

٢ هذا ما قاله أبو رية في السيد أبي هريرة . وقال الامام ابن إسحق فيه . كاذ وسيطا في دوس ، فانظر فرق ما بين القائلين !

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

زين العابدين

علي بن الحسين

٣٨ — ٩٤ هـ

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . ولعمر الله العظيم لقد كان المسلمون الصادقون يتوارثون حب النبي صلى الله عليه وسلم وقرابته وتكريمهم ، والنظر إليهم نظرة التقدير لأنهم بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيه ما يرضيهم ، ويؤذيه ما يؤذيهم فمن آذى واحدا منهم فقد آذى الله ورسوله إلا أن يكون بحق الإسلام .

فجدير بكل مسلم أن يعرف لهؤلاء حقهم وأن يقدرهم قدرهم .

يروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان يقول ! ارقبوا محمدا فى أهل بيته ، وكان يقول والذى نفسى بيده لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلى من قرابتى .

ويقال : إن الخليفة المهدى عمر بن عبد العزيز لما وفد عليه عبد الله بن حسن بن على فى حاجة قال له : إذا كانت لك حاجة فأرسل إلى أحضر أو اكتب إلى فانى أستحى من الله أن يراك على بابى .

وما لا مجال لتحقيقه فى هذا المقام ولا داعى للخوض فى تفصيله أنهم كانوا يظفرون بهذه المنزلة الكريمة فى نفوس الصديقين ومن حامت نفوسهم من الشوائب والأغراض لأنهم متمسكون بسنة جدهم النبي صلوات الله عليه معتصمون بدينه محتفظون بمزاياه التى خص بها الله سبحانه هذا البيت الكريم من التعرف إلى الله والاعتزاز به واللجوء إلى حماه والمروءة والكرم والفداء والتضحية وما إلى ذلك من معانى الإسلام التى اختارها الله للصفوة من عباده .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومما لا مجال لتحقيقه أيضاً والخوض فى تفاصيله أننا لا ننشد لهم بذلك تعظيما لم يأذن به الله ، مما يتشبث به كثير من العامة الذين يفرط كثير منهم فى أصول الإسلام وأسسه ، فلا يقيم صلاة ولا يؤدى زكاة ولا يتورع عن الخوض فى أعراض الناس ومظالمهم، ثم يزعم أنه يحب آل البيت ، وحسبه من ذلك أن يطوف حول قبر أو يمسك بحلقة مقصورة أو يدعو أحداً منهم بما خص الله سبحانه به نفسه .

كل هذا هراء وباطل وانحراف عن الجادة وسبيل محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأكرمين .

وبعد فقد كان على زين العابدين وذو الثفنات الزكى الأمين[1] صفوة هذ البيت الكريم بعد آبائه ، وانحصرت فيه ذرية السبط الكريم حسين بن على رضى الله عنهم أجمعين .

ومن حديث هذه الذرية الكريمة أن الحسين رضى الله عنه كان له ستة أولاد على بن الحسين الأصغر وهو هذا الذى نتحدث عنه اليوم وأمه شاه زنان بنت يزدجرد بن كسرى أنوشروان ملك الفرس .

وقد تربى فى حجر أبيه الحسين بن على يأخذ عنه ما ورث عن أبيه وجده من آيات الله والحكمة ويحاكيه فى أدبه وسخائه وكرمه وحلمه حتى كان مضرب المثل والمورد العذب

وما زال هذا الإمام العابد الزاهد يأخذ نفسه بما تركه أبوه عليه من المعارف والمكارم فهو عالم فقيه ومحدث جليل وزاهد مبذال ورع .

وقد عده الحافظ الذهبى من الطبقة الوسطى من التابعين فى رجال الحديث وقال إنه روى عن أبيه وعمه الحسن وعائشة وأبى هريرة وابن عباس والمسور وبن عمر وغيرهم .

وأخذ عنه بنوه أبو جعفر محمد بن على وزيد وعمر وزيد أسلم وعاصم بن عمر والزهرى ويحيى بن سعيد وأبو الزناد وآخرون .

---

(١) هذه الأربعة ألقاب كان يدعى بها .

وذو الثفنات على التشبيه بثفنة البعير وهى ركبته وذلك أن مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته ذكره شارح القاموس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الزهرى : ما رأيت أفقه من على بن الحسين إلا أنه كان قليل الحديث وكان من أفضل أهل بيته وأعظمهم طاعة وأحبهم إلى عبد الملك وفى حب عبد الملك إياه ما يدل على أنه كان يؤثر التقية ويتجنب الخلاف إبقاء على جماعة المسلمين كعمه الحسن رضى الله عنه ولأنه يرى فيما هو فيه من الصلة بالله والتوجيه الصالح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ما يشغله عن ذلك الخلاف الذى يرى أن الله سبحانه يفصل فيه بعدله . ويقضى فيه بحكمه ، على أنه كان مهيبا شجاعا لا يبالى ما يواجهه فى الحق .

ويروى الذهبى عن مالك أنه قال : بلغنى أنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة إلى أن مات . وقد يكون فى ذلك شىء من المبالغة على أنه يلقى ضوءا على ما كان فيه من طول القنوت والإنابة إلى دار الخلود .

وكان يسمى زين العابدين لعبادته .

وكانت وفاة على بن الحسين سنة ٩٤ هـ ودفن بالبقيع فى خلافة الوليد بن عبد الملك فى قبر عمه الحسن رضى الله عنه فى القبة التى فوق قبر العباس رضى الله عنه كما رواه ابن خلكان فى وفياته .

وقد نصت جميع الكتب التى رأيت فى تاريخ الإمام على بن الحسين أن وفاته كانت فى سنة ٩٤ هـ منها تواريخ ابن خلكان والذهبى والشبلنجى فى كتابه نور الأبصار ومعنى ذلك أنه توفى فى خلافة الوليد بن عبد الملك كما رأيت .

وإذا كان ذلك فلا صحة لما يشاع فى كتب الأدب وبعض الكتب التى لا تحقيق فى رواياتها من أنه حج مع هشام بن عبد الملك وأن هشاما جهد أن يصل إلى الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام وأن الناس تنحوا لزين العابدين حين رأوه وأن هشاما سئل عنه فادعى أنه لا يعرفه وأن الفرزدق كان حاضرا فقال أنا أعرفه وأنشد :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

ونحن لا ننكر أن يكون ابن الحسين جديرا بهذا الشعر ولا بما هو أروع منه ، وإنما نذكره للتحقيق التاريخى . فإن سياق القصة يدل على أن هشاما يومها كان خليفة ، ونحن نعلم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن خلافته تبتدئ منذ سنة ١٠٥ للهجرة أى بعد وفاة السيد زين العابدين بما يجاوز عشر سنوات .

فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء . أو مع غير زين العابدين من آل البيت . أو بينهما فى غير خلافة هشام .

وإليك بعض صفات زين العابدين وأخباره وطرفا مما نقل من أقواله مما له دلالة على مبلغ بصره ومعرفته ومزاياه الكريمة .

١ — كان على بن الحسين رضى الله عنه يخاف الله ويخشاه خشية من أيقن بالموت ، ورأى الدار الآخرة . وعرف الله حق المعرفة ، وورث صفات النبوة فكان مصليا صواما ، معرضاً عن الفضول مشتغلا بما يعنيه وحده ، وقد رأيت ما نقل عن مالك رحمه الله من أنه كان يصلى ألف ركعة ، وذلك عمل من لا يجد فراغا لغير الله . ولا يعرف وجهة سواه .

ويروى أن رجلا لقيه فسبه فقال : يا هذا ، بينى وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالى ما قلت . وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول . ويروى أنه كان إذا حضرت الصلاة اصفر لونه فيقال : ما هذا الذى نراه يعتريك عند الوضوء فيقول : أما تدرون بين يدى من أقف . . !

ولعلك أيها القارئ الكريم تعرف من هذا وأمثاله كيف كان هؤلاء الصديقون من أهل بيت النبوة ؟ وأنهم لم يغتروا يوما بالصلة بالله ورسوله ، ولكنهم كانوا أشد الناس خوفا من الله ، وإشفاقا من غضبه . واقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم وصحابته فى معرفة حق الله وهضم نفوسهم وتهذيبها .

٢ — كان على بن الحسين يعرف حق الله والإنسانية فى السائل والمحروم ، والعاثر والمكدود فيتعهد الفقير وينفق مما آتاه الله سبحانه بالليل والنهار سراً وعلانية . ويجهد نفسه ويعنيها فى تحمل أعباء الناس . عن ابن عائشة قال : سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت على بن الحسين .

وعن محمد بن اسحق قال : كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم . فلما مات على بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم . وكان يحمل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جراب الخبز على ظهره يتصدق به ، فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد فى ظهره فقيل : ما هذا ؟ قالوا : كان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم ، فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين .

وهكذا يتجلى الإسلام على حقيقته فى آل البيت النبوى الكريم ، والإسلام بذل وتضحية وإيثار وجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس ، وبذل لكل ما عند المرء فى سبيل الإنسانية طاعة لله وليس مجرد صلاة وصوم ودعاء وذكر .

٣ — كان زين العابدين أديبا مهذبا عف اللسان حليما متواضعا متسامحا ، يتصدق بعرضه على المسلمين ، كما يتصدق بماله على المعوزين .

وقد مر بك ما كان من إعراضه عن مجاراة من سبه ومجازاته وعن سفيان قال : جاء رجل إلى على بن الحسين فقال : إن فلانا وقع فيك بحضورى فانطلق إليه معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه ، فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلته حقا فأنا أسأل الله أن يغفر لى ، وإن كان باطلا فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه .

وهكذا كان الأدب والحكمة فى العلماء الراسخين من هذه الأمة الكريمة ، فلم يكن فراغ نفوسهم يدفعهم إلى الكبرياء ويوقعهم فى الحماقة الرعناء ، ليكثروا خصومهم فى الناس وليضاعفوا مشاكلهم فى الحياة . وما أجمل البساطة وسلامة الصدر ونسيان السيئات ! والصفح عن الزلات تحقيقا لمعنى الأخوة ، وحرصا على إشاعة السلام ! وفى الحديث الشريف : والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا .

٤ — على أن زين العابدين لم يكن جبانا فى الحق ولا ضعيفا أمام الجبابرة من الأمراء والمسلطين .

وكانت تعرض له مشاكل منذ حداثته يطير فيها فؤاد النكس ويخشع لها قلب الصنديد ، فما يبالى ما يصيبه إذا قال الحق وشفى نفسه لله .

روى فى عدة مصادر أن ملك الروم ، كتب إلى عبد الملك بن مروان يهدده ، فرأى أن يهدد على بن الحسين ليرى ما يقول فيبعث به إلى ملك الروم فكتب إلى الحجاج أن توعد على بن الحسين واكتب إلى بما يقول :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكتب الحجاج إليه يتوعده .

وكان جواب على بن الحسين أن قال :

إن الله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة إلا يحيي ويميت ويعز ويذل . ويفعل ما يشاء ، وإنى لأرجو أن يكفلك منها بلحظة واحدة . فأرسله الحجاج إلى عبد الملك ، ثم كتب به عبد الملك إلى ملك الروم رداً على تهديده ، فلما قرأه ملك الروم قال : ما خرج هذا إلا من كلام النبوة .

فانظر كيف كان ثبات زين العابدين، ثم تأمل كيف احتاج كل من عبد الملك والحجاج ـ مع غزير علمهما ووافر ثقافتهما وفصاحتهما ـ إلى الانتفاع بما يكتب زين العابدين فى موقف الإثارة .

٥ — أما علمه ومعرفته ، وأما إحاطته بشئون الدين ، فقد كان إماما ومرجعا يفىء الناس إلى ظله ، ويتداوون به من الجهل ، ويشعون به ظلمات الحرمان ، وقد بالغ فيه بعض الصوفية ، فادعوا أن لديه من علوم الكشف وما لا يطلع عليه الناس الشىء العجيب .

٦ — ولكن حسبنا أن ننقل إليك بعض فقرات من كلامه لترى فيها صورا من علمه وأدبه إلى صور من بيانه وبلاغته .

روى أنه كان يقول لابنه: يا بنى إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فحذرنى منك ، واعلم أن خير الآباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه ، وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العفو له ، وكان يقول له يا بنى اصبر على النوائب ، ولا تتعرض للمنون ، ولا تجب أخاك من الأمر إلى ما مضرته عليك أكثر من منفعته لك .

ومن كلامه : إذا نصح العبد لله تعالى فى سره أطلعه الله على مساوئ عمله فتشاغل بذنوبه عن معايب الناس . عبادة الأحرار لا تكون إلا شكراً لله لا خوفا ولا رغبة . عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ، ولا يحتمى من الذنب لمعرته . أربع عزهن ذل : البنت ولو مريم ، والدين ولو درهم ، والغربة ولو ليلة ، والسؤال ولو أين الطريق .

وفى الفصول المهمة أن جماعة من البادية دخلوا عليه ، فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان فقال لهم : ألا تخبرونى من أنتم ؟ ، أأنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ؟ ، قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ؟ ، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا » اخرجوا عنى فعل الله بكم وصنع .

رحم الله زين العابدين وجعل فيه مثلا للصالحين ؟

محمود النواوى

« حنين »

سما بى شوق للحجاز شديد ... فإنى محب ، والمحب مريد ! !
أحب رسول الله حبا إخاله ... حنينا ، وهل بعد الحنين مزيد ؟!
وأهفو إلى البيت الحرام وزمزم ... وطيبة ، والمولى على شهيد !
مواطن حفت بالجلال وهيبة ... ومجد لنا فى العالمين تليد !
بنفسى أفديها ، ونفسى عزيزة ... وكل محب بالعزيز يجود !!
لقد طال شوقى للحبيب محمد ... وطال انتظارى والحبيب بعيد !
إليك رسول الله أشكو تخلفا ... كأنى به عبر الزمان طريد !!
أحاول أن أسعى ولكن حالتى ... تعوقنى عما لديك أريد !
وفى كل عام للحجيج قوافل ... تزور ، وإنى دونها لقعيد !
وتلك - لعمرى - حالة لا أطيقها ... يروعنى منها أسى ، وجمود !!
فجد لى بقرب منك يا سيد الورى ... فأشعر أنى فى الرحاب سعيد !

محمود طيره

رئيس بعثة الأزهر بالصومال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاسلام فى غانا

على الساحل الشرقى للمحيط الأطلسى ، وفى جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية ، تقع دولة صغيرة تبلغ مساحتها حوالى ٩٢ ألف ميل مربع ، كانت تعرف فى المصورات الجغرافية باسم « ساحل الذهب » ، ثم عرفت بعد استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧ م باسم « غانا » ، وهو الاسم الجغرافى للمناطق الساحلية فى غربى إفريقية ، والاسم التاريخى لمملكة قديمة كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال منذ ٨٠٠ سنة . وظهرت هذه الدولة ، رغم حداثة استقلالها ، على مسرح الحياة السياسية بشكل بارز ، واشتركت فى المؤتمرات التى عقدت لصالح الشعوب الإفريقية والآسيوية ، وتوطيد أركان السلام العالمى .

وبمناسبة زيارة رئيس وزرائها الدكتور كوامى نكرومه Kwame Nkrumah لمصر ، وإعجابه بالدور الكبير الذى يقوم به الأزهر فى توثيق الروابط بين مصر والعالم الإسلامى ، أود أن أعرض لقراء مجلة الأزهر الغراء صورة مبسطة ، توضح لنا بعض معالم هذه البلاد ، وتكشف لنا بها أحوال المسلمين هناك ، قياما بواجب التعارف بين الجماعة الإسلامية ، ولنكون على بينة من الأمر فيما نقدمه من خدمات لإخواننا فى هذه المناطق التى باعد بيننا وبينها المستعمرون .

عرف العرب والمسلمون هذه البلاد منذ القرن الأول للهجرة ، فبعد أن وطدوا دعائم الحكم الإسلامى فى شمالى إفريقية - اتجهت قوافلهم نحو الجنوب ، واخترقت صحراء فزان والواحات ، ووصلت قبيلة « بنى حسن » إحدى قبائل « بنى هلال » إلى داخل بلاد السودان حاملة معها رسالة الإسلام مع ما يحملون من تجارة . ومن الشمال الغربى توجه المرابطون إلى داخل القارة لنشر الدعوة الإسلامية ، وغزوا مملكة « غانا » التى كانت قائمة بين أعالى نهر النيجر ونهر السنغال ، وأسس هناك أبو بكر بن عمر اللتونى مملكة « السونغاى » ، وأصبحت مدينة « تمبكتو » التى اختطها الطوارق سنة ١٠٧٧ م ملتقى الوافدين من الشمال والشرق والغرب ، وصارت مركز الدعوة الإسلامية فى هذه الجهات . ولم يمت أبو بكر ابن عمر سنة ١١٢٠ م إلا بعد أن وصلت قبائل الديولا حاملة رسالة الإسلام إلى ساحل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الذهب « غانا » وساحل العاج وسيراليون والمناطق الساحلية الأخرى . ثم جاء رجال الطرق الصوفية الكبرى : الجيلانية والشاذلية والتيجانية ، وتابعوا نشر الدعوة حتى وصلوا بها إلى حدود الكونغو .

ولم يعرف الغربيون ساحل الذهب « غانا » إلا بعد منتصف القرن الخامس عشر ، عندما قام الأسبانيون والبرتغاليون يثأرون من العرب الذين حكموهم عدة قرون ، فطاردوهم وتتبعوا بلادهم فاتحين ، وتحركت أساطيلهم بزعامة الأمير هنرى ابن الملك جوان الأول ، متتبعة ساحل إفريقية الغربى حتى وصلت سيراليون ، وتابعت سيرها بعد وفاة الأمير حتى وصلت حدود الكونغو .

وكان نزول البرتغاليين إلى ساحل الذهب سنة ١٤٧١ م . فاشتغلوا هناك بالتجارة ، التى أسالت لعاب بقية الأوربيين ، فوفدوا إليها جماعات من كل منطقة ، وتنافسوا فى تجارة الرقيق إلى جانب التجارة فى منتجات البلاد المعدنية والنباتية ، ثم انسحب هؤلاء جميعا ، ولم يبق إلا البريطانيون الذين بسطوا سلطانهم على البلاد ، وتم لهم إخضاعها سنة ١٩٠٠ م بعد حروب دامية استمرت سنين عديدة ، وظلت البلاد ترزح تحت نير الحكم البريطانى ، يطبق فيها سياسته الاستعمارية التقليدية ، القائمة على الاستغلال والاستئثار بخيرات البلاد ، وإهمال شئونها وإحباط كل مجهود يرمى إلى النهوض ، وكبت الحريات والقضاء على كل حركة تحررية ، حتى كانت الانتفاضات الأخيرة التى اشترك فيها الدكتور نكروماه بعد عودته سنة ١٩٤٧م من امريكا وانجلترا ، حيث كان يكمل تعليمه هناك ، وبعد جهاد عنيف حصلت البلاد على استقلالها فى ٦ من مارس سنة ١٩٥٧م ضمن الممتلكات البريطانية وسيكون الحكم فيها ديموقراطيا جمهوريا فى هذا العام .

* * *

تتكون « غانا » الآن من أربع مناطق : منطقة الساحل حيث توجد عاصمة البلاد « أكرا » ومنطقة « أشانتى » شماليها ، ثم المناطق الشمالية بعد ذلك ، وأخيراً الجزء الانجليزى من « توجولاند » الألمانية القديمة . ويبلغ السكان حوالى خمسة ملايين ، معظمهم من الزنوج ، ليس فيهم إلا نحو مائة ألف أوروبى ونحو عشرة آلاف عربى من سوريا ولبنان . وهم خليط من عدة قبائل ، أشهرها : الأشانتى والفانتى ، وكل قبيلة لها لغتها الخاصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التى تتفرع إلى عدة لهجات تبلغ جملتها نحو ٥٠ ، واللغات الرئيسية أربع ، تسود كل منها فى منطقة من مناطق الدولة .

وغالب السكان يدينون بدين الآباء والأجداد وهو الوثنية ، ونسبتهم أكثر من ٦٠ ٪. ويوجد هناك مسيحيون تنصروا على يد الإرساليات التبشيرية التى وفدت مع الفاتحين والمكتشفين الغربيين ، ويبلغون حوالى ٣٠ ٪. كما تتول نشراتهم الدينية الرسمية ، ويبدو أن هذا التقدير مبالغ فيه ، يراد به إبراز نشاط المبشرين للجهات التى يعملون لحسابها حتى تقوى بذلك مراكزهم ، كما أكد ذلك كثير من المراقبين للشئون الدينية . أما المسلمون فقد اضطربت الأقوال فى تقديرهم ، نظراً لعدم وجود إحصاءات دقيقة للسكان . وتزعم المصادر الأجنبية أنهم لا يتجاوزون ٤ ٪. من السكان ولكن يؤكد أحد كبار المسلمين الذين تخرجوا فى الأزهر وله مكان محترم فى الأوساط الرسمية هناك أن عددهم لا يقل عن مليون نسمة . وأن المستعمرين والمبشرين الذين يعملون لحسابهم يحاولون جهدهم أن يقللوا من شأن المسلمين تنفيذاً لخطة مرسومة . ويكثر المسلمون فى المناطق الشمالية ، ومظهر الإسلام هناك واضح جداً ، إذ يفوق عدد المسلمين هناك كل الطوائف الأخرى . ثم يقل عددهم فى أشانتى وغيرها .

وأكثر المسلمين غرباء وفدوا من غرب إفريقية وشرقيها والمناطق المجاورة ، للعمل فى الزراعة والمناجم والتجارة ، وتعتبر مدينة « كوماسى » عاصمة إقليم أشانتى ، ومدينة « أكرا » عاصمة البلاد ، من أكبر المراكز لاستقبال هؤلاء العمال الوافدين . ويلاحظ أنه لا تخلو أية مدينة كبيرة من وجود حى إسلامى فيها ، كما لا تخلو أية قرية من القرى من وجود أحد التجار المسلمين ، وكل جماعة من المسلمين لهم زعيم يرعى شئونهم ، والزعيم الأكبر مقره مدينة « كوماسى » ، وتكاد تنحصر الزعامة فى أسرة « بريماه » التى يرجع أصلها إلى قبيلة جاويوروبا ، وثلاثة أرباع المسلمين من أهل السنة والجماعة ، ويوجد نحو اثنين وعشرين ألفاً ينتحلون نحلة القديانية ، ولهم نشاط بارز فى كافة النواحى ، ومدارسهم ناجحة بالرغم من أن تلاميذها لا يدينون جميعاً بمذهبهم . ومذهب أهل السنة مالكى ، نظراً لأن الوافدين قديماً وحديثاً هم من شمالى إفريقية وشرقيها وغربيها حيث يسود المذهب المالكى هناك . كما أن أكثر المسلمين ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية ، التى أسسها بالمغرب أحمد بن محمد التيجانى المتوفى سنة ١٧٨٢ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والخرافات منتشرة فى البلاد بشكل واضح ، والعادات الوثنية القديمة راسخة فى نفوسهم مسيطرة على تصرفاتهم ، والسحر والشعوذة والاعتقاد فى الأرواح الخفية والأسرار والألغاز يكاد يكون قـــدراً مشتركا بين المواطنين جميعاً ، والسحرة هناك لهم مكانتهم واحترامهم ، ويخشى الناس بأسهم فيتوددون إليهم بإقامة الحفلات وتقديم القرابين ، لأنهم يوهمونهم أن لهم صلة قوية بالله ، أطلقت أيديهم فى الكون تتصرف كما تشاء .

ومستوى التعليم فى البلاد ضعيف جدا ، فكانت نسبة الأمية قبل خمس سنوات ٨٥ ٪ ولم يبدأ النشاط العلمى إلا بعد سنة ١٩٥١م ، فأنشئت المدارس الابتدائية والثانوية ومعاهد لتخريج المعلمين وبعض مدارس فنية ، وتوجد الآن كليتان جامعيتان ، إحداهما قرب أكرا ، وهى تؤهل الطلاب للحصول على الدرجات العلميـة والأدبية من جامعـة لندن ، والأخرى فى كوماسى وهى للتكنولوجيا والعلوم والآداب . غير أن حظ المسلمين من التعليم ضئيل ، وأكثرهم مهتم بالناحية المادية مشغول بالزراعة والتجارة ، والكتاتيب التى تعلم القرآن ومبادئ الدين لا تكفى لتثقيف المسلم تثقيفاً صحيحا ، فالقائمون على أمرها تنقصهم الكفاية العلمية ، كما أن الموارد المالية ضئيلة .

وكانت مصر بفضل الأزهر أسبق الدول إلى تقـــديم الخدمات للمسلمين فى غانا ، ففى كل عام يفد إليها كثير من الطلاب يتلقون العـــلم فى الأزهر ، فى معهد أنشئ للطلاب الوافدين من أطراف العالم ، ويلقون فى رحابه كل عناية ورعاية ، وقد عاد كثير من هؤلاء الطلاب إلى بلادهم رسل هداية وثقافة ، وألسنة خير تشيد بمصر والأزهر كعبة العلم ، ومنبع الثقافة الإسلامية ، ومركز الإشعاع الدينى والروحى للمسلمين فى كافة أنحاء العالم .

* * *

هذا والمسلمون هناك يعيشون فى وفاق مع باقى المواطنين ، ويشاركون فى كل نشاط ، وكل حركة إصلاحية فى البلد ، وهم يسعون جاهدين لتحسين أحوالهم . وقد أنشئوا لهم اتحادا فى أوائل القرن العشرين ، يشرف عليه كبار المسلمين من كل أنحاء البلاد ، الغرض منه رعاية مصالحهم وتحسين وضعهم ، والقضاء على فوارق الجنس واللون والمذهب بينهم ، وقد أفاد هـــذا الاتحاد فى توحيد جميع العناصر الإسلامية ، وإيقاظ قبائل غانا للعمل والنشاط والاشتراك فى المؤسسات المختلفة ، وقد تحول أخيرا إلى حزب سياسى ، مع الأحزاب الستة الأخرى ، وخاض المسلمون غمار المعارك الانتخابية . ولهم ممثلون فى المجالس البلدية ، وعضو فى برلمان غانا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والواجب أن توجه عناية كبيرة إلى المسلمين فى هذه البلاد ، فهم فى حاجة ماسة إلى من يبصرهم بواجبهم فى وسط هذا العراك ، وإلى من يعطف قلوبهم نحو الشرق ويربطهم بالعرب ، ويقرب بينهم وبين إخوانهم فى الأقطار الإسلامية ، وذلك قبل أن توقعهم فى شراكها امريكا ، التى تبذل جهدها لسد الفراغ فى هـــذه المناطق التى تقلص عنها نفوذ الانجليز ، ويكفى أن نعلم أن امريكا تستورد ٣٩ ٪ من محصول الكاكاو فى غانا ، وفى حاجة ماسة إلى المنجنيز والمعادن التى تكثر بها . كما أن بجامعاتها ١٤٠ طالبا يصنعون هناك صناعة خاصة ، لها أثرها بعد عودتهم إلى بلادهم وتقلدهم المناصب الكبيرة .

والغربيون عموما حريصون على أن يربطوا هذه البلاد بعجلتهم ، والمبشرون وهم دعاة الاستعمار يخشون تزايد عدد المسلمين لأن باب الهجرة الذى جاهدوا لإغلاقه ما زال مفتوحا ، وسيكون مشروع توليد الكهرباء من نهر الفلتا وما يتبعه من التقدم الصناعى ، مدعاة لجلب عدد كبير من المسلمين المهاجرين فيزداد بذلك نفوذ المسلمين . وهناك عبارات شائعة متوارثة : الإسلام دين السود ، وعند ما يرحـــل البيض فإن المسلمين هم الذين سيحكمون البلاد . وهم يخشون جميعا ضعف النظام الاجتماعى الذى يؤازره نفوذ الزعماء الوثنيين فى المجالس البلدية ، لأن هـذا النفوذ آخذ فى الضعف ، وبالتالى سينهار النظام الاجتماعى ، وهنا تكون الفرصة سانحة لتدخل الإسلام وبسط نفوذه بين الوثنيين كنظام اجتماعى يتناسب وطبيعة البلاد وعقلية السكان ، وتكون الطامة الكبرى على التبشير والمبشرين وعلى الاستعمار والمستعمرين .

فجدير بالمسلمين شعوبا وحكومات ألا يدعوا هـذه الفرصة تفلت من أيديهم ، وأن يكونوا على حذر ويقظة وسط هذه الدوامات والتيارات السياسية التى يثيرها ويوجهها قوم يكيدون للشرق ، ويتربصون الدوائر بالمسلمين .

فلينزلوا إلى الميـــدان مسلحين بأسلحة العصر ، وليثبتوا وجودهم كأمة لها كيانها واعتبارها ، ولها مجدها الغابر وطاقاتها الحية القوية التى تغالب الزمان ، وتقهر أعظم قوة فى الوجود . إن أحسنوا استغلالها واعتصموا بها ، والله سبحانه ناصر عباده المؤمنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

عطية صقر

المدير الصحفى لمكتب شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

آمال متواضعة

هل تتحقق خلال العام الجديد ؟؟

وندع الآمال الكبرى من تحقيق الاستقلال التام والوحدة الكاملة لبلاد العرب ، إلى قيام التعاون والتضامن بين ديار الإسلام . . . ندع هذه الآمال الكبرى فهى محل الإجماع ، وهى مما يتطلب اليقظة الدائمة ، والعمل الدائب الذى لا يقف عند سنة واحدة من السنين ، بل ولا يقف عند جيل بعينه من الأجيال .

ندع هـــذه الآمال الكبرى التى يلتقى عليها العرب والمسلمون ، ونتناول تخطيط آمال محدودة فى نواح جزئية متواضعة ، يمكن أن تتحقق بدايتها وتوضع أسسها فى خلال عام ، ثم لا تزال تؤتى أكلها بعد ذلك كل حين بإذن ربها .

ولن نتناول من هذه الآمال القريبة إلا ما يتعلق بالفكر والثقافة ، وهو مجال حيوى له أثره وخطره فى السلوك والأخلاق والتقاليد ، وفى العمل والإنتاج والنشاط .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونبدأ بآمالنا فى أزهرنا العتيد ...

نريد أن نرى الأزهر مقبلا على الشطر الثقافى من رسالته العلمية ، لا يقصر نشاطه على الشطر التعليمى وحده .

فى الأزهر مراقبة للبحوث والثقافة ، لا بد أن تكون لها خطتها السنوية فى الترجمة والتأليف ، ولا بد أن تكون لها نشراتها ومطبوعاتها وإنتاجها..

هذه كلها أمور مفهومة بداهة من وجود مراقبة للبحوث والثقافة ، والذى أؤمله اليوم أن يتضمن نشاط هذه المراقبة إنشاء قسم خاص « لنشر المخطوطات وإحياء التراث العربى » وهذا القسم له دور أساسى فى أى تخطيط يتناول ثقافتنا الإسلامية .

والمواد الخام لهذا القسم موجودة كلها : وأولها أن مكتبة الأزهر نفسها عامرة بالمخطوطات التى منها ما تنفرد به ، والتى منها ما لم يحقق وينشر بعد . . فضلا عن المخطوطات الموجودة بدور الكتب الأخرى والجامعات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والأساتذة الذين يباشرون تحقيق هذه المخطوطات موجودون فى الأزهر ، وبعضهم يحقق فعلا بعض المخطوطات لحساب دور النشر المختلفة ، وبعض خريجى الأزهر الذين يعملون فى جهات أخرى لهم مثل هذا النشاط المحمود ، على أنه لا حرج بعد ذلك فى أن يتعاون الأزهر ـ فى هذا العمل العلمى الضخم ـ مع المشتغلين بالتأليف والتحقيق أيا كانوا .

وأنا طبعاً لا أريد أن توقف الجهود الفردية ، ويكون هذا النشاط العلمى مقصوراً على الجهات الرسمية ، فإن هذا يؤدى إلى التعويق والتجميد بل ينبغى ألا نحول بين الأفراد ودور النشر وبين بذل الجهود الممكنة فى هذا الميدان ، بل ينبغى أن نشجع مثل هذه الجهود بكل قوة ، وفى الوقت نفسه نتولى تجميع وتنسيق قوانا كلها ، فيما تقصر عنه جهود الأفراد والمؤسسات الخاصة ، وما يحتاج إلى جهود وأموال الدولة ذاتها . ويكون البدء بأن يتخصص مجلس معين من قبل الأزهر لهذا العمل ، ويتفرع إلى لجان ، بعضها للعقائد ، وبعضها للفقه ، وبعضها للتاريخ ، وبعضها للغة والأدب ، وتتولى هذه اللجان حصر المخطوطات الموجودة وتحديد خطة نشرها .

فهل هذا أمل عزيز على التحقيق ؟ ؟

إنه ممكن جداً ، ولن يحتاج لكثير من المال فى أول مراحل المشروع ؛ فإن المجلس بلجانه سيقضى فترة فى الحصر والدراسة ، والاختيار والتوزيع .

وفى مراحل التنفيذ العملى يكفى البدء بكتاب واحد فى كل فرع من الفروع ، وبالتدريج تتزايد القوى المرصودة لتحقيق المشروع .

إن تكوين المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وتخصيص وزارة للثقافة والإرشاد ، يذكرنا بواجب الأزهر فى هذا السبيل . وعلى رأس الأزهر اليوم شيخ له دراساته وتآليفه ، ووكيل له دراساته وتآليفه ، وجماعة من كبار العلماء الذين اشتغلوا بالتدريس والتأليف ، وأساتذة جمعوا إلى ثقافتهم الأزهرية أرقى الدرجات العلمية من الجامعات الغربية . فهلا يقرب هذا كله تحقيق أملنا المتواضع ؟ ؟

* * *

وثانى الآمال القريبة ، التى نعقدها على أزهرنا العتيد ، أن يقوم ـ تحقيقاً للجانب الثقافى من رسالته العلمية ـ بإصدار مجلة (أكاديمية) ضخمة ، تصدر كل ثلاثة شهور مثلا . . بجانب المجلة الحالية التى تصدر للقراء عموما من الجمهور .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن هيئات الاستشراق الغربية لها مجلاتها ومطبوعاتها . . . والمجمع العلمى فى دمشق ، وزميله فى بغداد لهما مطبوعاتهما الدورية وغير الدورية ذات الطابع العلمى العميق . وليس فى مصر أولى من الأزهر بإصدار مثل هذه المجلة (الأكاديمية) التى تتخصص فى الدراسات الإسلامية ، والتى تفسح فى صفحاتها مجالا لأساتذة التاريخ الإسلامى والفلسفة الإسلامية والأدب العربى فى الجامعات ، ولغيرهم من المتخصصين فى أمثال هذه الدراسات ، ثم تراسل العلماء الشرقيين والمستشرقين ، لتستكتبهم أبحاثاً فى مختلف الموضوعات . ومثل هذه المجلة تكون رابطة بين هؤلاء العلماء والباحثين ، وتكون نوراً تكشف عن أهم المخطوطات والمطبوعات المتناثرة بين مكتبات العالم والتى تتناول جوانب الثقافة الإسلامية المتعددة المتنوعة . فهل هذا مطلب بعيد ؟ ؟

لا أظنه كذلك . . فإن تزويد مجلة كل ثلاثة شهور بالمواد اللازمة ليس مما يعز على الأزهر والأزهريين وغيرهم من العلماء المتخصصين ، وأما تكاليف الورق والطباعة ، فما أزهدها إذا قيست بالنفع المتحقق من وراء هذا الأمل القريب .

* * *

ونحن نؤمل فى قسم (نشر التراث القديم) بإدارة الثقافة ، الذى كان تابعاً لوزارة التربية وأظنه ألحق بوزارة الثقافة والإرشاد فى تصميمها الجديد - نؤمل فى هذا القسم القائم ، أو فى زميله بالأزهر إذا أنشئ ، أو فى مجلس الفنون والآداب ، أو فى الجامعة العربية . . نؤمل فى أحد هؤلاء ، أو فى هؤلاء معاً متعاونين - أن يخرجوا لنا الموسوعة الأمينة فى تاريخنا الإسلامى ، التى ما فتئ المخلصون يلحون فى الاهتمام بها والارتكاز عليها ، ونعنى (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبرى .

هذا الكتاب يحتاج إلى جهود من نوع جديد ، غير الجهود التى بذلت فى طبعة ليدن تحت إشراف المستشرق الهولندى دى غويه ... الجهود المرتقبة لا يفهمها ولا يهضمها غير العرب والمسلمين ، فهم الذين يعرفون مهمة الرواية والإسناد فى نقل تراثنا من السلف إلى الخلف ، ويعرفون قيمة التعديل والتجريح ، ويستطيعون أن يلحقوا تحقيق كتاب الطبرى بتعريف بالرجال الذين نقلت خلالهم الروايات ، ثم يوازنون بين الروايات المختلفة فى الكتب التاريخية الأخرى الأصيلة - مثل ابن عبد الحكم فى فتح مصر ، أو ابن عذارى فى فتح المغرب - فى إشارات مجملة ، وهكذا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا الجهد أساس وهام بالنسبة للتاريخ الإسلامى بل بالنسبة للثقافة الإسلامية عموما ... وهو إذا بذل فى كتاب كتاريخ الطبرى فإنما ليكون نموذجا ودليلا ، للسير على هديه فى تحقيق ونشر سائر المخطوطات العربية ... وأمامى تجربة نشر (تاريخ ابن عساكر) الذى تولاه المجمع العلمى فى دمشق ، يمكن أن نستلهم منها الخطة . ومن أهم ما ظهر لنا من دروس فى هذه التجربة ، أن مثل هذه التواريخ الموسوعية الضخمة ينوء بأعباء نشرها عالم واحد مهما كان علمه وفضله . فتاريخ ابن عساكر لم يظهر منه إلا مجلدتان خلال سنوات، والكتاب كله فى ثمانين مجلدة ... فهل يتسع عمر فرد لظهور هذه المجلدات الضخام ؟؟

إن من الواجب أن تتعاون لجنة من العلماء فى هذا المضمار فهذا أعون على إحكام الخطة وتبادل الرأى وتوزيع العمل ، وإذا كثر العدد استطاع العلماء أن يتجاوزوا التحقيق البحت فيضيفوا إلى ذلك شيئا من التعليق اللازم ، فقد رأيت فى (تاريخ ابن عساكر) أن التعليق ـ وفقا للخطة التى وضعها مجمع دمشق ـ تحصره حدود ضيقة ، فى حين أن بعض الكتب ـ خاصة الكتب الأمهات ـ تحتاج إلى التوسع فى التعليقات ، فإن طالت التعليقات ألحقت بالكتاب فى صورة ذيول وملاحق .

إن هذه الجواهر النفائس من تاريخنا ، بيننا وبينها زمان طويل ، ولكى نفهمها حق الفهم لابد من أن يراعى فى نشرها أن تساط عليها الأضواء ، وأن تنشر فى صحبة طائفة من الدراسات والشروح والتوضيحات تعين على فهم المقصود .

وإن لمصر دورها التاريخى بالنسبة لتاريخ الإسلام ... وينبغى أن تصون مصر الحاضرة بالعلم ، ما حققته مصر الماضية بالعرق والدم . فدور مصر فى صد الصليبيين والتتار دور حاسم ، ولكن معظم المؤلفات التى تدور حول هذا الدور من أقلام الأوربيين . ونحن نحتاج إلى تحقيق ونشر ما لدينا من تراث تلك الحقبة ، ونحتاج كذلك إلى إصدار الدراسات العميقة الجادة من المتخصصين فى هذه الموضوعات .

* * *

بقى فى الصدر أمل آخر ، ننشد تحقيقه فى العام الجديد ...

إن القرآن والسنة ، والمغازى والفتوح ، تحتاج إلى عرض جغرافى يقدم البيئة التى أشارت بها النصوص ، ويوضح طبيعتها ويكشف عن سكانها .

والدراسات الغربية حافلة بالكتابات المستفيضة عن جغرافية الكتاب المقدس وبخاصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التوراة وهذه الدراسات تقدم شرحا لجغرافية فلسطين الطبيعية ، ولجغرافيتها التاريخية والجنسية والاجتماعية ، حتى يطالع القارئ الكتاب المقدس وهو مغمور بالنور . فلا يكاد يمر بذكر مكان من الأرض أو قوم من البشر حتى يعرف ما يستبين به ما ذكر فى كتابه المقدس .

فعل الغربيون هذا وهم فى بيئة غير البيئة التى نزل فيها الكتاب ، وهم يعيشون فى حضارة مادية ما أبعدها فى الكثير عن روح الدين . ولعل مما أثر فى هذا المضمار العروق اليهودية فى العقل الأوربى والأمريكى ، فانها دفعت إلى الاهتمام بهذا التراث (السامى) بين الآريين ، وهذ الأصل (الدينى) بين الماديين ! !

ونحن فى الشرق العربى نعيش فى بيئة النبى والصحابة ، وفى أيدينا الكثير من مواقع الأرض وسلالة القوم الذين كانوا أعلام التاريخ ، فأين جهودنا العلميه الأصيلة فى شرح ماجاء فى آيات القرآن عن البيئة العربية ، وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن رحلة ذى القرنين ، وقصة أهل الكهف ، وعن رحلة الرسول فى هجرته ومواقع مغازيه ، وعن قبائل العرب وهجراتها ومسالكها وعلاقاتها فى أرجاء العالم العربى منذ زمن الفتوح بل منذ ما قبل الفتوح .

إن بين يدى القارئ العربى نموذجا لمثل هذه الدراسة عن (شمال الحجاز) قد كتبه المستشرق موسل وترجمه الدكتور عبد المحسن الحسينى (اسكندرية ١٩٥٢ م) ، والمؤلف وإن كان تناول مراجعه بصفة عامة بما فيها المراجع الإسلامية إلا أن اهتمامه بالتوراة أظهر وأبرز ومعلوماته عنها أدق وأوضح ، وقد طالعت مع المطالعين كتاب الأستاذ مظفر الندوى عن (التاريخ الجغرافى للقرآن) الذى ترجمه الدكتو عبد الشافى غنيم ضمن مطبوعات (الألف كتاب) والذى أثير حوله ما أثير ، والكتاب عموما لا يعد إلا بداية يسيرة . ولن يستطيع التعريف (بالجغرافيا الإسلامية) على وجهها إلا من يهضم العربية ، ويحسن الرجوع إلى شعر العرب فيما تحدثوا به عن الديار والأطلال جاهلية وإسلاما . أنا أعلم أن الدكتور عبد العزيز كامل مدرس الجغرفيا بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، لديه مشروع كتاب أعد مسوداته فى هذا الموضوع ، وأعرف عن الدكتور دأبه العلمى ومثابرته على التحقيق ، ولعله بكتابه يشجع غيره على ارتياد هذا السبيل .

هذه آمالى ... لم أسرف فيها ولم أغتر ، فاللهم حقق الآمال ؟

فتحى عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حق الجوار

فى تقدير الشريعة الإسلامية

لقد وضع الإسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الإسلامية جمعاء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ، ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة . فشرع شرعة التعاون فى الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدنيته الفاضلة فقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هذا التعاون إلا دعا إليها وحث عليها ، ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجد التداعى سبيلا إليه بحال من الأحوال ـ لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره . فأول حجر وضعه النبى صلى الله عليه وسلم فى بناء صرح حقوق الجوار قوله بين رهط من صحابته فى مسجد يثرب « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن . قال قائل منهم : من هو يا رسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » رواه مسلم فى صحيحه . والمراد أنه لا يتم له إيمان ولا تنمو له عقيدة حتى يتحقق هذا الشرط ، وهو الحفاظ على مبدأ الجوار ومميزاته وشرائطه ، فإن الإيمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة . فإذا كان اكتمال هذا الإيمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فإنه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضناً بنفسه وطلباً لنجاتها .

والجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم . والذى له حقان : الجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام . والذى له حق واحد : الجار المشرك » . حقاً إن هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فإن ثبوت حقوق الجوار حتى للمشركين لم يقل بها قبل الإسلام مصلح فى الأرض . ويفهم من هذا أن الإسلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الإنسانية كلها ، وهذا غاية ما يرمى إليه أعلى نمط من أنماط الإنسانية الفاضلة . فالإنسان لا يخلو وهو يعيش فى الحواضر أو البوادى أن يكون له جيران من ذوى نحل مختلفة يبادلهم التعامل ، فهل أبيحت للمسلم معاملتهم أو حرمت عليه مجاملتهم ؟ كلا كلا ، بل أوجب عليهم الإسلام أن يسوى بينهم وبين إخوانه المسلمين فيها ، وقد حث النبى على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ومؤاكلتهم حتى الإصهار إليهم . وقد وجد أصحاب الأديان الأخرى من مجاورة المسلمين ما تلتماه القلة من العطف وحسن المعاملة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ، وأقدم سبل الإنسانية .

قال مجاهد : كنت ذات يوم عند عبد الله بن عمر وله غلام يسلخ شاة فقال : يا غلام ، إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مراراً . فقال الغلام : كم تقول هذا ؟ فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أن يورثه . فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جاراً ولم يفرق بينه وبين إخوانه فى الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم . لا شك فى أنه فعل ذلك حتى لا يسبق إلى ذهن خادمه أن ليس له شىء من حقوق الجوار ليهوديته ، فأمره أن يبدأ به ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبى من التشديد فى وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

وفى السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ إن استعان بك أعنته ، وإن استنصرك نصرته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، ثم قال أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله » .

إن هذا الأثر جامع فى حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل إليه قياساً على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فإن هذه الحقوق طبيعية يؤدى إليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الإنسانية لو تجردت من شبح الحيوانية وأثرة البهيمية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكما بين الإسلام ما يجب للجار من الإحسان والعطف على جاره على أتم وجه كما رأيت ، حرم إيذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الإيذاء مبطلا للأعمال الصالحة . فقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال عليه السلام : هى فى النار . ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن إيذاء الجار قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته ، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

روى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : إن لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على . فقال له : اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فإن التغابى عن أذى الجار ربما أداه للنـــدم والاعتذار مصداقا لقوله تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . ولكن لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا فى بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران إلى أحدهما والبعض الآخر إلى الثانى ، فمما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر فى أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر ، وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد روى أنه جاءه رجل يشكو جاره فقال له النبى : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه الرابعة قال له : أخرج متاعك فى الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنة الله ! فأثر ذلك فى قلب جاره المشاكس فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس هو فى ظل داره فقال : ما قمت إذن بحرمة ظل داره إن باعها معدما ، ودفع إليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له : لا تبعها .

روى العلامة السيد عبد المغنى الضرير الأندلسى المشهور صاحب كتاب « زهر الآداب » هذه القصة الطريفة فقال « كان للإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان جار ملاصق وكان الإمام يقوم هزيعا من الليل للتهجد والإسحار فيسمع جاره يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استمر هذا الرجل ينشد هذا البيت من الشعر ويسمعه الإمام بضع ليال ثم اختفى هذا الصوت فجأة ، فلما أصبح الصباح سأل الإمام عن هذا الرجل الذى كان ينشد هذا البيت ، فقيل له إن هذا الرجل كان مديناً لأحد الناس فشكاه الدائن للوالى ، فأمر الوالى بحبسه حتى يقضى دينه ، وما أسرع أن امتطى الإمام بغلته ثم ذهب إلى الوالى فبعد أن حياه الوالى وأكرم مثواه سأل الإمام ما حاجتك ؟ فقال أبو حنيفة لنا جار ملاصق كنت أسمعه ينشد هذا البيت :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

واليوم أفتقده فلا أجده ، فقيل لى إنكم حبستموه لدين عليه ، فضحك الوالى حتى بدت نواجذه فقال : يا مولاى الإمام سأرسل إلى دائنه ليسامحه فى دينه ، وكان عشرين ديناراً ، فلم يقبل الإمام هذا العرض فدفع من خالص ماله دين الدائن ، وما أسرع أن أحضر إليه المدين من السجن وأخذه معه ، ثم أردفه على بغلته وهو يردد « والله يا فتى ما أضعناك ، ولن نضيعك إن شاء الله » .

هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الإسلام وحرمته ، فلعل القارئ يلقى عليه نظرة فاحصة ثم يقارن بين ذاك العهد الدابر وعهده الحاضر ليتبين الفرق الشاسع بين عهدين عهد كانت أواصر الجوار فيه قائمة ، وعهد انزوت فيه حرمة الجار ، بل برزت فيه مساوئه ومعايبه ، ولعل سواد المعاصرين فى عهدنا الحاضر يساكن منهم أسر أسراً أخرى فى مبنى واحد ، فلا يحدث بينهم تعارف ولا توادد ، وتنقطع علائق الجوار انقطاعا لا هوادة فيه ، وذلك مجاف لروح الشريعة الغراء ، ومناف لأبسط قواعد الحنيفية البيضاء :

إن دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

عباس طه المحامى

« مسئولية الإنسان »

جاوز بطرفك عالم الإنسان ، ثم ارجع البصر كرتين مصعدا منحدرا ، فيما شئت من العوالم التى تشاهدها فى السماء والأرض ، وانظر هل ترى من بينها مسئولا واحدا عن حاله فضلا عن حال غيره ؟ أما الإنسان ذو العقل والإرادة والاقتدار ، فهو الذى رشحته فطرته لهذه الأعباء فأصبح ذا مسئولية ، وموضع أمانة .

الدكتور محمد عبد الله دراز

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صوت من وراء الدنيا :

أبو هريرة

حافظ الصحابة ، وأكثرهم رواية عن رسول الله

فى صباح يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٧ انتقل إلى رحمة الله العلامة الكبير الشيخ أحمد شاكر أعلم علماء السنة المحمدية بمصر فى هذا العصر ، وأوسعهم إحاطة بأطرافها ، وتحقيقاً لمتونها ، ووقوفا على دخائل رجالها وتراجم رواتها ، حتى كأنه كان يعيش معهم . وقد رأينا أن ننشر من علمه الغزير هذا الفصل عن حافظ الصحابة أبى هريرة رضى الله عنه ، لمناسبة ما وقع أخيراً من التشويه الذميم لمجهود هذا الصحابى الجليل ، والتشكيك فى مروياته . قال رحمه الله يتحدث عن أعداء السنة بحديثه العذب بعد أن صار فى العالم الآخر :

لهج أعداء السنة ، أعداء الإسلام ، فى عصرنا ، وشغفوا بالطعن فى أبى هريرة وتشكيك الناس فى صدقه وفى روايته . وما إلى ذلك أرادوا ، وإنما أرادوا أن يصلوا - زعموا - إلى تشكيك الناس فى الإسلام ، تبعا لسادتهم المبشرين ، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن ، أو الأخذ بما صح من الحديث فى رأيهم . وما صح من الحديث فى رأيهم إلا ما وافق أهواءهم ، وما يتبعون من شعائر أوربة وشرائعها . ولن يتورع أحدهم عن تأويل القرآن ، إلى ما يخرج الكلام عن معنى اللفظ فى اللغة التى نزل بها القرآن ، ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون !

وما كانوا بأول من حارب الإسلام فى هذا الباب ، ولهم فى ذلك سلف من أهل الأهواء قديما . والإسلام يسير فى طريقه قدما ، وهم يصيحون ما شاءوا ، لا يكاد الإسلام يسمعهم ، بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم ، وإما يدمرهم تدميرا ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن عجب أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون ، يكاد يرجع فى أصوله ومعناه إلى ما قاله أولئك الأقدمون ! بفرق واحد فقط : أن أولئك الأقدمين - زائغين كانوا أم ملحدين - كانوا علماء مطلعين ، أكثرهم ممن أضله الله على علم .

أما هؤلاء المعاصرون ، فليس إلا الجهل والجرأة ، وامتضاغ ألفاظ لا يحسنونها ، يقلدون فى الكفر ، ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم !

ولقد رأيت الحاكم أبا عبد الله - المتوفى سنة ٤٠٥ - حكى فى كتابه المستدرك (٥١٣:٣) كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبى بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - المتوفى سنة ٣١١ - فى الرد على من تكلم فى أبى هريرة فكأنما هو يرد على أهل عصرنا هؤلاء . وهذا نص كلامه :

« وإنما يتكلم فى أبى هريرة - لدفع أخباره - من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

إما معطل جهمى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم - الذى هو كفر - فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاع والسفل ، أن أخباره لا تثبت بها الحجة !

وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذى هو ضلال لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة وبرهان ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة !

أو قدرى اعتزل الإسلام وأهله ، وكفر أهل الاسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التى قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر ، لم يجد حجة تؤيد صحة مقالته التى هى كفر وشرك كانت حجته عند نفسه أن أخبار أبى هريرة لا يجوز الاحتجاج بها !

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبى هريرة فيما يخالف مذهب من اجتبى مذهبه واختاره ، تقليدا بلا حجة ولا برهان ، تكلم فى أبى هريرة ، ودفع أخباره التى تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره على مخالفيه ، إذ كانت أخباره موافقة لمذهبه !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبى هريرة أخبارا لم يفهموا معناها ، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل ... الخ »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعليقا على حديث الذباب :

وهذا الحديث مما لعب به بعض معاصرينا ، ممن علم وأخطأ ، وممن تعلم وعمد إلى عداء السنة ، وممن جهل وتجرأ :

فمنهم من حمل على أبي هريرة ، وطعن في رواياته وحفظه ، بل منهم من جرؤ على الطعن في صدقه فيما يروى ! حتى غلا بعضهم فزعم أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة ، إن لم يزعم أنها لا أصل لها ! بما رأوا من شبهات في نقد بعض الأئمة لأسانيد قليلة فيهما ، فلم يفهموا أغراض أولئك المتقدمين الذين أرادوا بنقدهم أن بعض أسانيدهما خارجة عن الدرجة العليا من الصحة التي التزمها الشيخان ، لم يريدوا أنها أحاديث ضعيفة قط ،

ومن الغريب أن هذا الحديث بعينه ـ حديث الذباب ـ لم يكن مما استدركه أحد من أئمة الحديث على البخاري . بل هو عندهم جميعاً مما جاء على شرطه في أعلى درجات الصحة .

ومن الغريب أيضاً أن هؤلاء الذين حملوا على أبي هريرة ـ على علم كثير منهم بالسنة ، وسعة اطلاعهم رحمهم الله ـ غفلوا أو تغافلوا عن أن أبا هريرة رضي الله عنه لم ينفرد بروايته ، بل رواه أبو سعيد الخدري أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أحمد في المسند (١١٢٠٧ ، ١١٦٦٦) ، والنسائي (٢ : ١٩٣) ، وابن ماجه (٢ : ١٨٥) ، والبيهقي (١ : ٢٥٣) بأسانيد صحاح . ورواه أنس بن مالك أيضاً ، كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥ : ٣٨) وقال : « رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الأوسط » . ورواه الحافظ في الفتح (١٠ : ٢١٣) وقال : « أخرجه البزار ورجاله ثقات » .

فأبو هريرة لم ينفرد برواية هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه انفرد بالحمل عليه منهم ، بما غفلوا أنه رواه اثنان غيره من الصحابة .

والحق أنه لم يعجبهم هذا الحديث لما وقر في نفوسهم من أنه ينافي المكتشفات الحديثة من المكروبات ونحوها . وعصمهم إيمانهم عن أن يجرءوا على المقام الأسمى فاستضعفوا أبا هريرة .

والحق أيضاً أنهم آمنوا بهذه المكتشفات الحديثة أكثر من إيمانهم بالغيب ، ولكنهم لا يصرحون ! ثم اختطوا لأنفسهم خطة عجيبة : أن يقدموها على كل شيء ، وأن يؤولوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القرآن بما يخرجه عن معنى الكلام العربى ، إذا خالف ما يسمونه « الحقائق العلمية » ! وأن يردوا من السنة الصحيحة ، ما يظنون أنه يخالف حقائقهم هذه ! افتراء على الله ، وحباً فى التجديد !

بل إن منهم لمن يؤمن ببعض خرافات الأوربيين وينكر حقائق الإسلام أو يتأولها . فمنهم من يؤمن بخرافات استحضار الأرواح ، وينكر وجـــود الملائكة والجن بالتأول العصرى الحديث . ومنهم من يؤمن بأساطير القدماء ، وما ينسب إلى القديسين والقديسات ، ثم ينكر معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، ويتأول ما ورد فى الكتاب والسنة من معجزات الأنبياء السابقين ، يخرجونها عن معنى الإعجاز كله ، وهكذا وهكذا . . .

وفى عصرنا هذا صديق لنا . . . كنا نعجب بقلمه وعلمه واطلاعه ، ثم بدت منه هنات وهنات على صفحات الجرائد والمجلات ، فى الطعن على السنة ، والإزراء برواتها ، من الصحابة فمن بعـــدهم . يستمسك بكلمات للمتقدمين فى أسانيد معينة ، يجعلها - كما يصنع المستشرقون - قواعد عامة ، يوسع من مداها ، ويخرج بها عن حدها الذى أراده قائلوها . وكانت بيننا فى ذلك مساجلات شفوية ، ومكاتبات خاصة ، حرصاً منى على دينه وعلى عقيدته .

ثم كتب فى إحدى المجلات كلمة على طريقته التى ازداد فيها إمعاناً وغلواً ، فكتبت له كتاباً طويلا فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ ، كان مما قلت له فيه ، من غير أن أسميه هنا أو أسمى المجلة التى كتب فيها ، قلت له :

« . . . وقد قرأت لك كلمة فى مجلة . . . لم تدع فيها ما وقر فى قلبك من الطعن فى روايات الحديث الصحيحة . ولست أزعم أنى أستطيع إقناعك ، أو أرضى إحراجك بالإقلاع عما أنت فيه .

وليتك درست علوم الحديث وطرق روايته دراسة وافية ، غير متأثر بسخافات فلان رحمه الله وأمثاله ممن قلدهم وممن قلدوه ، فأنت تبحث وتنقب على ضوء شىء استقر فى قلبك من قبل ، لا باحثا حراً خاليا من الهوى .

وثق أنى لك ناصح مخلص أمين . لايهمنى ولا يغضبنى أن تقول فى السنة ماتشاء . فقد قرأت من مثل كلامك أضعاف ماقرأت . ولكنك تضرب الكلام بعضه ببعض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وثق أن المستشرقين فعلوا مثل ذلك فى السنة ، فقلت مثل قولهم ، وأعجبك رأيهم ، إذ صادف منك هوى . ولكنك نسيت أنهم فعلوا مثل ذلك وأكثر منه فى القرآن نفسه . فما ضار القرآن ولا السنة شيء مما فعلوا .

وقبلهم قام المعتزلة وكثير من أهل الرأى والأهواء ، ففعلوا بعض هذا أو كله ، فما زادت السنة إلا ثبوتا كثبوت الجبال ، وأتعب هؤلاء رءوسهم وحدها وأوهوها !

بل لم نر فيمن تقدمنا من أهل العلم من اجترأ على ادعاء أن فى الصحيحين أحاديث موضوعة ، فضلا عن الإيهام والتشنيع الذى يطويه كلامك ، فيوهم الأغرار أن أكثر ما فى السنة موضوع ! هذا كلام المستشرقين ...

غاية ماتكلم فيه العلماء أحاديث فيهما بأعيانهما ، لا بادعاء وضعها والعياذ بالله ، ولا بادعاء ضعفها . إنما نقدوا عليهما أحاديث ظنوا أنها لاتبلغ فى الصحة الذروة العليا التى التزمها كل منهما . وهذا مما أخطأ فيه كثير من الناس ، ومنهم أستاذنا السيد رشيد رضا رحمه الله ، على علمه بالسنة وفقهه ، ولم يستطع قط أن يقيم حجته على مايرى . وأفلتت منه كلمات يسمو على علمه أن يقع فيها . ولكنه كان متأثراً أشد الأثر بفلان وفلان وهما لايعرفان فى الحديث شيئا . بل كان هو - بعد ذلك - أعلم منهما وأعلى قدما وأثبت رأيا ، لولا الأثر الباقى فى دخيلة نفسه ، والله يغفر لنا وله .

وما أفضت لك فى هذا إلا خشية عليك من حساب الله . أما الناس فى هذا العصر فلا حساب لهم ، ولا يقدمون فى ذلك ولا يؤخرون . فإن التربية الإفرنجية الملعونة جعلتهم لايرضون القرآن إلا على مضض ، فمنهم من يصرح ، ومنهم من يتأول القرآن أو السنة ، ليرضى عقله الملتوى ، لا ليحفظهما من طعن الطاعنين . فهم على الحقيقة لايؤمنون . ويخشون أن يصرحوا فيلتوون ، وهكذا حتى يأتى الله بأمره ... فاحذر لنفسك من حساب الله يوم القيامة ، وقد نصحتك وما ألوت . والحمد لله » .

وأما الجاهلون الأجرياء فهم كثر فى هذا العصر . ومن أعجب ما رأيت من سخافاتهم وجرأتهم أن يكتب طبيب فى إحدى المجلات الطبية فلا يرى إلا أن هذا الحديث لم يعجبه ، وأنه ينافى علمه ، وأنه رواه مؤلف اسمه البخارى ، فلا يجد مجالا إلا الطعن فى هذا البخارى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورميه بالافتراء والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو لا يعرف عن البخارى هذا شيئاً ، بل لا أظنه يعرف اسمه ولا عصره ولا كتابه إلا أنه روى شيئاً يراه هو ـ بعلمه الواسع ـ غير صحيح ! فافترى عليه ماشاء ، مما سيحاسب عليه بين يدى الله حساباً عسيرا .

ولم يكن هؤلاء المعترضون المجترئون أول من تكلم فى هذا ، بل سبقهم من أمثالهم الأقدمون ، ولكن أولئك كانوا أكثر أدباً من هؤلاء . فقد قال الخطابى فى معالم السنن (رقم ٣٦٩٥ من تهذيب السنن) : « وقد تكلم فى هذا الحديث بعض من لاخلاق له وقال : كيف يكون هذا ؟ وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى الذبابة ؟ وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها فى ذلك ؟ قلت ـ القائل الخطابى ـ : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، وإن الذى يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ، ثم يرى أن الله سبحانه قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع ، وجعل منها قوى الحيوان التى بها بقاؤها وصلاحها ، لجدير أن لاينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزءين من حيوان واحد ، وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وأن تعسل فيه ، وألهم الذرة (أى النملة) أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه ، هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا ، لما أراد الله من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد ، والامتحان الذى هو مضمار التكليف وفى كل شىء عبرة وحكمة ، وما يذكر إلا أولو الألباب » .

وأما المعنى الطبى ، فقال ابن القيم ـ فى شأن الطب القديم ـ فى زاد المعاد (٣ : ٢١٠ ـ ٢١١) « واعلم أن فى الذباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة من لسعه ، وهى بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه . فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله فى جناحه الآخر من الشفاء فيغمس كله فيقابل المادة السمية بالمادة النافعة فيزول ضررها . وهذا طب لايهتدى اليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة . ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الاطلاق ، وأنه مؤيد بوحى إلهى خارج عن القوى البشرية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قال الشيخ أحمد شاكر : وأقول ـ فى شأن الطب الحديث ـ إن الناس كانوا ولا يزالون تقذر أنفسهم الذباب وتنفر مما وقع فيه من طعام أو شراب . ولا يكادون يرضون قربانه . وفى هذا من الإسراف ـ إذا غلا الناس فيه ـ شىء كثير . ولا يزال الذباب يلح على الناس فى طعامهم وشرابهم ، وفى نومهم ويقظتهم ، وفى شأنهم كله . وقد كشف الأطباء والباحثون عن المكروبات الضارة والنافعة ، وغلوا غلواً شديداً فى بيان مايحمل الذباب من مكروبات ضارة ، حتى لقد كادوا يفسدون على الناس حياتهم لو أطاعوهم طاعة حرفية تامة . وإنا لنرى بالعيان أن أكثر الناس تأكل مما سقط عليه الذباب وتشرب ، فلا يصيبهم شىء إلا فى القليل النادر .

ومن كابر فى هذا فإنما يخدع الناس ويخدع نفسه . وإنا لنرى أيضا أن ضرر الذباب شديد حين يقع الوباء العام ، لا يمارى فى ذلك أحد . فهناك إذن حالان ظاهرتان بينهما فروق كبيرة : أما حال الوباء فما لاشك فيه أن الاحتياط فيها يدعو إلى التحرز من الذباب وأضرابه مما ينقل المكروب أشد التحرز . وأما إذا عدم الوباء ، وكانت الحياة تجرى على سننها فلا معنى لهذا التحرز . والمشاهدة تنفى ما غلا فيه الغلاة من إفساد كل طعام أو شراب وقع عليه الذباب . ومن كابر فى هذا فإنما يجادل بالقول لا بالعمل ، ويطيع داعى الترف والتأنق ، وما أظنه يطبق ما يدعو اليه تطبيقا دقيقا ، وكثير منهم يقولون ما لا يفعلون .

أحمد محمد شاكر

أمريكا فى لبنان

قالت مجله (نيوستيتسمان) الانجليزية : يستطيع أيزنهاور أن يزعم أن لديه من الحجج القانونية ما يبرر استجابته لنداء شمعون ، ولكن هذا ليس فى الواقع إلا نفاقا لا يخفى أن جريمة قد ارتكبت . ولهذا فإنه يتعذر على الإنسان أن يعرف سببا حقيقيا يبرر تدخل أمريكا فى لبنان وخاصة بعد أن طلبت أمريكا من الأمم المتحدة أن تحقق فى الأزمة اللبنانية ، وبعد أن أكدت الأمم المتحدة أن هذه الأزمة داخلية بحتة ، وبعد أن ترك تقرير الأمم المتحدة أثرا طيبا فى بيروت ، إذ كان الثوار قد بدءوا يبحثون مع رجال الحكومة عن حل وسط لإنهاء هذه الأزمة ، ولكن أيزنهاور لم يعبأ بذلك لأن الذعر استولى عليه بمجرد أن علم بثورة بغداد . فمزق تقرير الأمم المتحدة ، ولم يكترث لرأى همرشلد فى المسألة ، وضرب ضربته التى جددت أزمة لبنان بعد أن كانت فى نزعها الأخير .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغويات

ساهم فى عمل البر

كثرت هذه الصيغة صيغة المساهمة وما تصرف منها فى معنى المشاركة ، وقد أنكرها الناس أن تكون موافقة لما جاء فى اللغة ، وجعلوا لها صيغة الإسهام ؛ فيقولون : أسهم فلان فى هذا الأمر . وأسهم فى الأصل : أعطى سهما أى نصيبا ، تقول : أسهمت لمحمد من مالى ، وفى الأم للشافعى ـ رضى الله عنه ٧ / ٣١١ : « وقال الأوزاعى : أسهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء بخيبر » والمراد : أعطاهن من السهمان . ومن اشترك فى عمل يحتاج إلى مال فقد بذل سهما من ماله فى قيام العمل ، ثم توسع فيه فأريد المشاركة فى الأمر وإن لم يكن هناك بذل مال . وإذا قال القائل : أسهم فى شركة الحديد والصلب المصرية فالمراد أنه دفع من ماله نصيبا أو أكثر لقيام الشركة ، وإن كان المعروف أن يقال : أخذ سهما ، إذ يراد بالسهم الصك والوثيقة بما دفع من مال .

وقد رأيت فى عبارة الشافعى ـ رضى الله عنه ـ أسهم له بالتعدية باللام . وترى فى المقامة الخمسين (البصرية) من مقامات الحريرى فى الحديث عن أبى زيد المروجى : فحينئذ انكفأ إلى بيته ، وأسهمنى فى قرصه وزيته » أى أعطانى جزءا أو نصيبا فى ذلك ، وظاهر أن هذه التعدية جاءت من قبل تضمين الإسهام معنى الإعطاء أو الإشراك .

وإنكار القوم المساهمة وإيثار الإسهام لأن المساهمة : المقارعة ، أى الأخذ فى عمل القرعة عند التنازع على حق من الحقوق ، وأصل ذلك أنهم يقترعون بالسهام أى العيدان المبرية والنصال التى لم تهيأ لأن تكون سلاحا . ويقولون : ساهمته فسهمته أى قارعته فكانت القرعة لى وغلبته ، وساهمه فلم يظفر فى المساهمة ، ومنه ما جاء فى الكتاب العزيز فى سورة الصافات فى الحديث عن يونس عليه الصلاة والسلام : « فساهم فكان من المدحضين » وكان ذلك لما ركب ـ عليه الصلاة والسلام ـ السفينة فركدت وتحبست ، وقد قيل : إن من عادة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القوم حين ذاك إذا حدث مثل هذا أن يتساهم من فى السفينة بإلقاء سهامهم فى الماء فمن طفا سهمه ألقى فى الماء ومن رسب سهمه نجا ، وكان حظ سهم يونس أن طفا .

على أن المقارعة قد يعقبها المشاركة ، أو هى بسبيل من المشاركة والتنازع فيها . وهذا المعنى يسوغ استعمال المساهمة فى المشاركة وتصحيح ما جرى فى هذا الباب .

وللباحث أن يحتج فى هـــذا بما جاء فى اللآلئ للبكرى المطبوع مع السمط ١ / ٦٦ : « اختلف الناس فى الذى قال : يديرونى عن سالم وأديرهم . فقال قوم : أبو الأسود الدؤلى ، بقوله فى غلام له اسمه سالم :

يديرونى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم
ولو بان من كفى لبت مسهدا ... ونهبان عما بى من الشجو نائم
أبا ثابت ساهمت فى الحزم أهله ... فرأيك محمود وعهـــدك دائم

ونهبان بن عـــدى جار لأبى الأسود ، كان يديره على بيع سالم ، ويروم ذلك منه ، وأبو الأسود يأباه . ثم مات سالم فقال أبو الأسود هـــذا الشعر . وظاهر فيه أن قوله : ساهمت فى الحزم أهله : شاركت فى الحزم أهله ، وهو الاستعمال المشهور نفسه ، وفى معجم الشعراء للمرزبانى ٣٦٦ لمالك بن أعـــين الجهنى فى رثاء الإمام جعفر الصادق المتوفى فى سنة ١٤٨ هـ .

فيا ليتنى ثم يا ليتنى ... شهدت وإن كنت لم أشهد
فآسيت فى بثـــه جعفراً ... وساهمت فى لطف العـــود
ومن قبل نفسك قلت الغداء ... وكف المنية بالمرصد
عشية يدفن فيه الندى ... وغرة زهر بنى أحمـــد

فقوله : ساهمت فى لطف العود ، أى شاركت :

مصر تقع شمال السودان . واليمن تقع جنوب الحجاز

يجرى هـذا الاستعمال بين الناس . وأرى أن الصواب أن يقال : مصر تقع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شمالى السودان ، واليمن تقع جنوبى الحجاز . وهكذا أرى أن الصواب أن يقال : ليبية [١] غربى مصر ، وتقع تونس شرقى ليبية ، ولا يقال فى ذلك غرب وشرق .

وذلك أن الشمال والجنوب من الرياح لا من الجهات ، فإذا أريد المكان قيل شمالى أى المكان الذى تهب فيه الشمال ، وجنوبى أى المكان الذى تهب فيه الجنوب ، والجنوب هى الريح القبلية ، والشمال : التى تقابل الجنوب . والشرق : حيث تشرق الشمس ، والغرب : حيث تغرب ، فترى أنهما ينسبان إلى الشمس ولا ينسبان إلى شىء خاص ، فإذا أريد المكان الذى ينسب إلى شىء خاص قيل شرقى وغربى . ويقول سيبويه فى الكتاب ١ / ٢٠١ فى عد ظروف المكان : ومن ذلك أيضا : هو ناحية من الدار ، وهو ناحية الدار ، وهو ناحيتك ، وهو نحوك ، وهو مكانا صالحا ، وداره ذات اليمين وشرقى كذا ، قال الشاعر ـ هو جرير ـ :

هبت جنوبا فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاة التى شرقى حورانا

انتهى كلام سيبويه . وحوران : إقليم من أعمال دمشق ، والصفاة : الحجرة العريضة الملساء . نعم يقال : مصر تقع جهة الجنوب من السودان أى الجهة التى تهب فيها الجنوب . وجاء فى كلام البيرونى ـ على ما نقله ياقوت فى معجم البلدان فى لوبية ـ : « كان اليونانيون يقسمون المعمورة بأقسام ثلاثة تصير أرض مصر مجتمعا لها . فما مال عنها وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جانب المغرب وبحر مصر من جهة الشمال وبحر الحبش من جهة الجنوب وخليج القلزم وهو بحر سوف أى البردى من جهة المشرق ، وهذا كله يسمى لوبية » .

وجاء فى القاموس فى مادة (نوب) فى الكلام على النوبة : « وبالضم : بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد » . فترى أنه جاء على الاستعمال المشهور . وعبارة ياقوت فى معجم البلدان : « النوبة بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر » فهذا جاء على الجادة .

وجاء فى اللسان (نصب) هذا البيت فى وصف الناقة :

كأن راكبها يهوى بمنخرق من الجنوب إذا ما ركبها نصبوا

---

[١] هكذا اشتهر الرسم فى عصرنا . وفى معجم ياقوت : « لوبية » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نصبوا : جدوا فى السير أو ساروا يومهم ، فالجنوب هنا : الريح ومنخرقها حيث تهب ، فترى أن الجنوب بفتح الجيم .

وجاء فى شعر أمية بن أبى عائذ الهذلى :

أفاطم حييت بالأسعد متى عهدنا بك لاتبعدى
تصيفت نعمان واصيفت جنوب سهام إلى سردد

سهام وسردد : موضعان . وقد ضبط (جنوب) بفتح الجيم فى نسختى معجم البلدان المطبوعتين فى أوربة ومصر ، وهذا الضبط لا وجه له ، فإن الجنوب ـ كما عرفت ـ من الرياح ولا معنى لتصيفها ، وإنما (جنوب) بضم الجيم جمع جنب بمعنى الناحية ، وهذا الضبط فى اللسان وفى شرح السكرى لشعر الهذليين ، فهذا له معنى صحيح ، تقول : تصيفت جنب إسكندرية أى ناحيتها . وهكذا ماجاء فى معجم البلدان فى الكلام على زخة موضع فى بلاد طيئ لبهكنة الفزارى يخاطب عامر بن الطفيل :

أحسبت أن طعان مرة بالقنا حلب الغزيرة من بنات الغيهب
عصبا دفعن من الأبارق من قنا جنوب زخة فالرقاق فينقب

جنوب زخة بضم الجيم : نواحيها وجهاتها .

محمد على النجار

مع جمال عبد الناصر

على مائدة خروشوف فى موسكو

أراد رئيس الخدم أن يقدم لخروشوف من خمر الفودكا ، فمنعه خروشوف والتفت إلى الرئيس جمال عبد الناصر وقال له : ـ حينما تكون معى ، فأنا لا أشرب أبدا . أنا أعلم أنك مسلم متدين ، وأنا أحترم عقيدتك . والتفت إلى وزير خارجيتنا الدكتور محمود فوزى وقال :

ـ إنهم يعتبرون أن المعركة كلها هى شخص هذا « الشاب » ، إنهم يعلمون أنه أصبح رمزاً لكفاح العرب ، ولسوف يدفعون نصف عمرهم فى فرصة تمكنهم منه . (وهز رأسه وقال) : ولكنهم لن ينالوا هذه الفرصة ، وسينتصر هذا الكفاح .

وأخذ قدحا من الماء المعدنى ووقف يقول :

إننى أشرب نخب (كفاح الشعوب العربية) نخب قائد العرب ، نخب انتصار العرب .

وجلس وهو يقول : أنا لا أتكلم عن الغيب ، ولكنى أؤمن بمنطق التاريخ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعليقات

يتسع الخرق على الراقع

كانت محاولات المرشدين قديماً تتجه نحو الجهلاء ، وتتعلق بإصلاح المعوج من أمرهم ، وتهذيب الشذوذ من أنفسهم وفى أخلاقهم .

فلما تفتحت أكمام الثقافة ، وانبعث ضوءها ، واتسعت رقعتها ، وكثر الناهلون من وردها ، حسبنا أن لذلك آثاراً إيجابية فى تقليل الجريمة ، ومؤازرة الفضيلة ، والنهوض بالخلق ، وصيانة المجتمع من شرور كانت تتهدده ، وتجذبه إلى الوراء ، بعيداً عن المستوى الإنسانى الكريم .

حسبنا ذلك ، ولكننا فوجئنا ، ولا نزال نفاجأ من جانب الثقافات الحديثة بما هو شر من الجهل قديمه وحاضره .

توافر للإنسان فى حاضره نصيب كبير من التوجيه إلى جانب ما لديه من دين ، وتجارب ، غير أن العوامل السلبية تجد مرتعها خصيبا فى صدور المجددين من أبناء الثقافة المدنية المنقولة إلينا من منابع غير صافية ، إذ لم يعد للثقافة التى يرددونها بيننا غير مقاومة الحياء فى وجوه الخيرين ، ومحاربة القيم الروحية ، والطغيان على العقائد ، والتقاليد ، والنشاط فى اقتياد الشباب كله إلى مساقط الرذيلة فى غير اكتراث ولا حساب لما وراء هذا كله من هدم لكيان المجتمع الذى يطالبنا الدين وتقتضينا الوطنية أن نحرص على سلامته من كل آفة .

من كان يظن أن نسمع فى الأوساط الإسلامية مجاهرة بالتحلل من الحشمة ، وبالدعوة السافرة إلى حرية غير محدودة للمرأة ، وإلى إجازة للبنات أن يخالطن الأصدقاء من الشبان ، بل إلى استحسان البعض من الآباء أن يكون لبنته صديق أو أكثر ، تسايرهم فى الطرقات ، وتتردد معهم على كل مكان يروقهم ؟ ؟

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من كان يظن أن يعلن أستاذ جامعي يقوم على تربية أبنائنا أنه يحبذ لبنته تلك الحرية ، وأنه ينكر على المتشائمين من هذه الفوضى غيرتهم ، وتنديدهم بهذه الميوعة ؟ ؟

أليست هذه إباحية تتجاوز إباحية كنا نسمعها أو نقرأ عنها فى الكتب عن بعض المغرقين فى الجهل يوم كانت الدنيا بحاجة قصوى إلى علم كثير ، ويوم كان الناس يستجيبون للفطرة فى التميز بين الخير والشر ، وكانوا يتريثون فى ارتكاب النقيصة ؟ ؟

تجاوز الأمر قدره ، وأصبحت المجانة والدعارة ومحاربة النزعات الكريمة ، مذهبا يتمذهب به نفر من المثقفين فى عصر مفروض فيه أنه عصر حضارة وتقدم ، بل وصل الأمر إلى مغالبة الماجنين لأهل الكرامة ، ومحاولتهم أن يسكتوا أصحاب الدعوة الرشيدة ليكون صوت الشيطان وحده مدويا فى آذان القوم ، وتكون الدنيا مرتعا للفساد والمفسدين .

إن المصلحين من رجال الأمة يجاهدون حقا للنهوض بها ، وجهادهم مشكور ، ولكنه بحاجة إلى مؤازرة من كل هيئة ، ومن كل فرد فليس من المستساغ أن نحملهم فوقما يحملون ؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر

الدستور العراقى

أذاع الزعيم عبد الكريم قاسم فى فجر ٩ المحرم (٢٦ يوليو) دستور جمهورية العراق المؤقت وهو فى ٤ أبواب تنطوى على ٣٠ مادة . جاء فى مادته الأولى « العراق جمهورية مستقلة » وفى الثانية « العراق جزء من الأمة العربية » . وفى الثالثة « الكيان العراقى يقوم على أساس التعاون بين المواطنين ويعتبر العرب والأكراد شركاء فى هذا الوطن » . وفى الرابعة « الإسلام دين الدولة » . وفى الخامسة « بغداد عاصمة الجمهورية العراقية » وفى الباب الثانى « الأحكام تصدر وتنفذ باسم الشعب » وفى المادة ١٣ « الملكية الخاصة مصونة » وفى المادة ١٤ « الملكية الزراعية تحدد وتنظم بقانون » .

وسيتولى مجلس النواب العراقى الذى ينتخب انتخابا حرا إقرار الدستور العراقى فى صيغته النهائية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كلمة

بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين

فى كل عام نستقبل بهذا اليوم (يوم ١٥ مايو) ذكريات كنا نتمنى أن تكون ذكريات سرور وغبطة ، وموجبات فرح وبهجة ، وكنا نتمنى أن يكون هذا اليوم لفلسطين عيد استقلال وحرية ، إذ كان هو اليوم الذى انزاح فيه كابوس الانتداب الثقيل ، عن هذه البلاد فى سنة ١٩٤٨ ، وجلت فيه بريطانيا عن أرض هذا الوطن العربى العزيز ، الذى مكث يرزح تحت ضغط الاحتلال والاستعمار سنين عدة وأعواما طويلة .

نعم كان يمكن أن يكون يوم ١٥ مايو ، يوم عيد تنشر فيه الزينات ، وتعلن فيه مظاهر الفرح والابتهاج ، لو كان جلاء بريطانيا عن أرض فلسطين قد أريد به ترك البلاد خالصة لأصحابها ، ورد الأمانة سليمة إلى أهلها ، ولكنه كان جلاء مبنياً على تدبير سيئ ، واتفاقات غادرة ، بين بريطانيا ومن مالأها من دول الاستعمار ، اتفاقات مكنت لإسرائيل أن تقيم دولة فى فلسطين ، لتكون دائماً عامل قلق واضطراب ، ومبعث شر وفتنة ، بين دول الشرق العربى جميعاً ، ولتكون أيضاً مخلب قط أو نقطة ارتكاز يستخدمها ويعتمد عليها المستعمرون ، كلما أرادوا أن يسيروا فى خطة عدوان على أهل هذا الشرق العربى أو غير العربى .

وإنه ما كان لليهود فى سنة ١٩٤٨ أن يكسبوا حرباً ، أو يستقر لهم أمر ، أو تقوم لهم دولة حتى مع ضعف الأسلحة التى كانت فى أيدى المجاهدين العرب أو فساد هذه الأسلحة ، وما كانوا ليكسبوا حرباً أو يستقر لهم أمر أو تقوم لهم دولة ، حتى مع تلك الخيانة التى افتضح أمرها ، واشتهرت بإضافتها إلى أسماء أصحابها ، كما اقترنت أيضاً باسم اللد والرملة .

نعم ما كان لإسرائيل أن تصل إلى ما وصلت إليه فى فلسطين حتى مع كل هذه الاعتبارات لولا اتفاقات الشر ، وتدبيرات الغدر التى بيتها المستعمرون لشعب فلسطين وكل من يحنو من العرب على شعب فلسطين .

ولكن هل هذه هى النهاية التى ليس بعدها نهاية ؟ وهل يمكن أن يبقى كذلك أهل فلسطين مشردين لاجئين إلى غير ملجأ ، هائمين إلى غير مستقر ؟ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنه قد مضت عشر سنوات على تلك النتيجة الظالمة الغاشمة ، تغيرت فيها الأوضاع فى البلاد العربية ، وقضى على أكثر عوامل الفساد ، التى كانت تئن منها البلاد ، وقد أخذ الشعب العربى دروسا قاسية من تجربة سنة ١٩٤٨ التى لا تزال آثارها المؤلمة ماثلة أمام أعيننا فى هؤلاء اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق ، وفى هذه القلاقل والتحرشات التى تثيرها عصابات اليهود على حدود الدول العربية .

الآن وقد تغيرت الأوضاع ، وشعر العرب جميعاً حكومات وشعوباً بمرارة الواقع ، وبالحاجة إلى عمل جدى حاسم - يجب علينا أن نستأنف الجهاد من جديد لاستعادة أرضنا المغصوبة ، وأن نتابع الكفاح ونحن أشد قوة وأصلب عوداً ، وأقوى أملا ، ينبغى أن يقف كل فرد منا فى الميدان يجاهد بنفسه وسلاحه وماله ورأيه وجاهه وبكل ما يستطيع من قوة .

ونحن بحمد الله قد حققنا بعد جهادنا الطويل جزءاً من آمالنا فى جمع كلمة العرب وضم صفوفهم ، فقامت الجمهورية العربية المتحدة ، التى ضمت شعب مصر وسوريا على أساس من الشعور المنبعث من نفس الشعب ، لتحقيق أهداف يحس بضرورتها الشعب الذى يريد أن يحيا حياة عزيزة كريمة تقوم على أساس التعاون والتناصح والإخلاص المتين . والواجب يقتضينا أن نحمى هذه الوحدة ونضع فيها ثقتنا الكاملة ، وألا ندع للدخيل مجالا ينفث فيه سمومه ، وينصب شراكه ، وأن تكون عيوننا يقظة ساهرة لمكايد المستعمرين وعملائهم الذين يريدون أن يطيحوا بهذا الصرح الشامخ الذى بنيناه بدمائنا وأرواحنا ، وأوينا إليه بعد رحلة طويلة شاقة مليئة بالأشواك والآلام والعقبات .

جاهدوا فى الله أيها المواطنون حق الجهاد ، وخذوا من أبطالكم مثلا علياً فى التضحية وإنكار الذات ، واعلموا أيها اللاجئون أنكم بمشيئة الله عائدون عائدون . وأن النصر قريب والله مع الصابرين .

عاشت الأمة العربية عزيزة كريمة ، وعاشت الوحدة قوية متينة ، ووقانا الله جميعا أسباب الفتنة ، ويسر لنا السبيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

عبد الرحمن تاج
شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ضـــيوف الأزهر

فى يوم الأحد ٢٠ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (٨ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر سيادة الأسقف مكاريوس الزعيم الدينى لقبرص . وقد دار الحديث حول واجب رجال الدين فى توجيه الشعوب وقيادتها إلى الخير ، والاشتراك الفعلى فى العمل على رفع الظلم والوقوف صفا واحداً أمام الاستعمار ، فهذا النشاط من رجال الدين هو من صميم واجبهم الذى كلفتهم به الديانات السماوية . فعملهم ليس قاصراً على المساجد والكنائس وبيوت العبادة ، بل مجال نشاطهم واسع ، وكل عمل مشروع يؤدى إلى الخير العام له منزلته وثوابه . والمستعمرون قد حاولوا أن يحصروا عمل رجال الدين فى دائرة ضيقة ، ومنعوهم من التدخل فى الأمور السياسية ، واضعين حداً فاصلا وحاجزاً منيعاً بين النشاط الدينى المحض فى بيوت العبادة ، وبين النشاط خارج هذه البيوت .

وقد أشاد سيادة الأسقف بما وصلت إليه مصر والجمهورية العربية المتحدة من تقدم بفضل رجال الثورة الأحرار وزعماء العروبة المخلصين ، وقال : لا أمان لهذه الجمهورية الناشئة ولا لقبرص إلا إذا حطم الاستعمار وتطهرت البلاد من هؤلاء الدخلاء .

وقد دعا سيادته فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة قبرص ومشاهدة شعور المواطنين هناك نحو العرب والجمهورية العربية المتحدة .

* * *

وفى يوم الاثنين ٢٨ من ذى القعدة ١٣٧٧هـ (١٦ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر فضيلة الشيخ مصطفى بن عبد العزيز خليل مفتى صوفيا ببلغاريا بمناسبة مروره بمصر لأداء فريضة الحج ، وذكر أن ببلغاريا ما يقرب من مليون مسلم ، لهم ٢٢ مفتياً موزعون فى أنحاء البلاد ولهم مدارسهم الخاصة التى يتلقون فيها علوم الدين باللغة المحلية . وأن المسلمين هناك مقبلون على العبادة ، ومساجدهم تضيق بالمصلين وتبدو فى مظهر رائع فى شهر رمضان ، كما ذكر سيادته أن المسلمين هناك يحبون العرب كثيراً ويحرصون على سماع الإذاعات العربية . معجبين بنهضة مصر وزعماء الجمهورية العربية المتحدة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى يوم الأحد ٥ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ (٢٢ من يونيه ١٩٥٨م) استقبل فضيلته الدكتور كوامى نكروماه رئيس وزراء غانا وكان يصحبه السيد وزير التربية والتعليم وشخصيات أخرى ، وبعد التحدث عن نظم الدراسة فى الأزهر والدور الذى يقوم به فى ربط الشعوب الإسلامية عن طريق المبعوثين الموفدين والطلاب الوافدين من جميع الأقطار . زار الجامع الأزهر والمكتبة وقاعة المحاضرات الكبرى ثم انصرف شاكراً لفضيلته وللسادة العلماء والموظفين حسن استقبالهم وكريم شعورهم .

* * *

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧٧ هـ (١٣ من يوليه سنه ١٩٥٨ م) استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بمكتبه وفد الحجاج الصينيين برئاسة السيد / محمد على وكيل الجمعية الإسلامية الصينية ، ودار الحديث حول الشئون الدينية العامة وأحوال المسلمين فى الصين بصفة خاصة ، وأكد الوفد حب الصينيين العميق لمصر وللثقافة العربية ، وإعجابهم بدور الأزهر فى نشر الثقافة الإسلامية ، وتأكيد الروابط بين الشعوب .

وقد دعا الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الصين فوعد بذلك عند إتاحة الفرصة ، وبعد إهداء فضيلته إلى الوفد الكتب والرسائل ، انصرفوا جميعا شاكرين حسن الاستقبال متمنين للأزهر وللجمهورية العربية المتحدة دوام التوفيق فى خدمة قضية السلام .

تبرعات من الأزهر

بلغ مجموع ما تبرع به الأزهر بمناسبة أسبوع الجزائر لعام ١٣٧٧ هـ : م ٢٧٠و٣١٥١ ج سلمها فضيلة الأستاذ الأكبر على دفعات إلى الجهات المختصة .

كما بلغ مجموع ما تبرع به الأزهريون لمعونة الشتاء فى هذا العام ألف جنيه ، سلمت أيضاً للجهات المختصة .

وفضيلة الأستاذ الأكبر يشكر لجميع المساهمين فى هذه الأعمال الإنسانية الجليلة ، ويحيى فيهم روح الوطنية الصادقة ، آملا أن يكونوا دائما سباقين إلى الخير ، ومثلا أعلى فى كل عمل جليل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى عيد الأضحى المبارك

من البرقيات والرسائل التى تبودلت بين فضيله الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر وأساتذة وطلاب الأزهر وكبار الشخصيات فى العالم العربى والإسلامى والبرقيات التالية:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريه العربية المتحدة — القاهرة

يسرنى أن أرسل إلى سيادتكم باسم الأزهر خالص التهنئة بعيد الأضحى المبارك وأطيب التمنيات لكم ولجميع العاملين المخلصين ، راجيا من الله سبحانه أن يسبغ عليكم نعمته ، ويديم توفيقكم للنهوض بالجمهورية العربية المتحدة وخدمة قضية العروبة وتوطيد أركان السلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

السيد الرئيس شكرى القوتلى — دمشق

بمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرنى أن أبعث إلى سيادتكم بالتهانى الخالصة راجيا لكم موفور الصحة ودوام التوفيق لخدمة العروبة والإسلام ؟

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج — القاهرة

إنى أهنئ فضيلتكم وجميع موظفى الأزهر بعيد الأضحى المبارك وأقدم إليكم جزيل شكرى وأسمى امتنانى لتفضلكم لعطفكم وعنايتكم فى الأزهر نسأل الله تعالى أن يكتب للشعب المصرى دوام الخير وأسعد الحياة فى ظل السلام ؟

(ضياء الدين بن إيشان بابا خان)
مفتى المسلمين
بطشقـــند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر مصر

تلقيت بالامتنان برقيتكم المعبرين فيها باسمكم وباسم الأزهر عن كريم التهنئة وصادق الشعور بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإني لأبعث إليكم جميعا بموفور الشكر راجيا لكم الصحة والسعادة ومتمنيا للأمة العربية كل عز وسؤدد .؟

(جمال عبد الناصر)

سماحة الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر القاهرة

أشكر لسماحتكم تهنئتكم الكريمة بعيد الأضحى المبارك راجيا الباري تعالى أن يعيده على العرب والمسلمين وقد تحققت أمانيهم في الوحدة والحرية .؟

(شكري القوتلي)

الشيخ ضياء الدين بن إيشان بابا خان مفتي المسلمين طشقند

لقد كان لتهنئتكم لنا بعيد الأضحى المبارك أثر عظيم في نفسي ونفوس جميع علماء وموظفي الأزهر وإني إذ أشكر لكم هذا الشعور الطيب أرجو الله أن يمتعكم بالصحة وأن يهب المسلمين في آسيا الوسطى والعالم كله حياة طيبة في ظل من الأمن والحرية والاستقرار .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبد الرحمن تاج القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته لمناسبة عيد الأضحى المبارك يسرني أن أتقدم إليكم وإلينا وإلى جميع المسلمين بالخير واليمن والعافية والتوفيق في كل الأمور .

ونسأل الله أن يمدكم في أموركم وينسج عليكم ثوب العافية إنه على كل شيء قدير مع أطيب التحيات .

(قمر الدين صالح)
شيخ جامع موسكو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحاج قمر الدين صالح شيخ جامع موسكو

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وتمنياتكم الطيبة لنا وأرجو الله لكم ولجميع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى والعالم كله حياة طيبة ، وحرية شاملة ، وتوفيقاً مطرداً لخدمة قضية السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

فضيلة شيخ الجامع الأزهر القاهرة الجمهورية العربية المتحدة

بمناسبة عيد الأضحى المبارك أتمنى لكم الصحة وطول البقاء ، والتوفيق فى جهودكم من أجل السلام .

(مؤسسة فيينا الدولية للسلام)

المؤسسة الدولية للسلام فيينـــا

أشكر لكم تهنئتكم بعيد الأضحى المبارك وأرجو الله للعالم أمناً واستقراراً ولجميع العاملين المخلصين توفيقاً دائماً لخدمة السلام .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

حمداً لك اللهم . . . !

فقد تردد نسيم الحرية فى رئة عزيزة من الجسم العربى ، بعد أن ظن الخونة المارقون أنها تعطلت تماماً ، لما بالغوا فيه من سد المنافذ وتسميم الجو . . . ! حمداً لك اللهم . . . ! فقد تحرر العراق الشقيق . . . !

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر ينوب عن الأزهر فى التهنئة بنجاح الثورة العربية فى العراق .

السيد الزعيم الركن عبد الكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية بغـــداد

أحيى فيكم روح الوطنية العالية وأهنئكم بنتيجة الثورة الباهرة ، وأرجو للجمهورية العربية العراقية كمال العزة والقوة والتمكين كما أرجو لجميع الشعوب العربية المكافحة فى سبيل تحريرها أن تنال استقلالها وتتمتع بثمار كفاحها وأن تقوى على طرد المستعمرين من ديارها والله ولى المؤمنين المخلصين .

(عبد الرحمن تاج)
شيخ الجامع الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

المستوى الاجتماعى للمدرسة

أوصى المؤتمر الأول للتخطيط الاجتماعى المدرسى بتنظيم دراسات لإعداد القادة والرواد واكتشاف الطلبة ذوى المواهب لإعدادهم قادة فى المدرسة ، وتشجيع الهوايات المدرسية الصالحة . ودعا المؤتمر إلى تقديم الخدمات النفسية والاجتماعية للتلاميذ غير القادرين على التكيف الاجتماعى ، ونوه بفائدة مجالس الآباء . وأوصى بأن يدخل فى الاعتبار ـ عند تقدير قيمة الأساتذة والمدرسين ـ مدى مساهمتهم فى تحقيق أهداف التربية الاجتماعية .

حصر القوى المتعلمة

تقوم وزارة التربية والتعليم بإعداد حصر شامل للقوى البشرية المتعلمة التى تلزم المرافق المختلفة فى إقليمى الجمهورية المتحدة خلال السنوات العشر القادمة .

مراكز بحوث لكل صناعة

تعنى وزارة الصناعة بإعداد مراكز بحوث علمية لكل صناعة من الصناعات القائمة فى الجمهورية العربية المتحدة ، بحيث تكون مختصة بجميع مرافق العلم من صناعية وهندسية وزراعية . وقد اقترح إقامة « معمل بحوث » لكل صناعة تساهم الشركات بتمويله باعتمادات سنوية فى ميزانياتها ، وستوزع مراكز البحوث على مناطق التصنيع ، والمقترح إقامة خمسة عشر معملا مركزيا لأبحاث الطاقة الذرية ، والبترول ، والأسمدة الكيماوية ، والثروة المعدنية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الكيماوية ، وأبحاث الغزل والنسج والصباغة والطبع ، وأبحاث الخيوط الصناعية ، والزجاج ، والأسمنت ، والمستحضرات الطبية ، ومنتجات الألبان ، والورق ، والصناعات الغذائية ، وصناعات البلاستك .

وأهم مايعنى به لتحقيق ذلك تخريج جيل جديد من العلماء يتخصص كل فريق منهم فى أبحاث صناعة معينة لتعتمد عليهم الصناعات فى خطوات تقدمها فى المستقبل القريب .

ناجحو المدارس الثانوية

قرر المجلس الأعلى للجامعات المصرية قبول ٨٥٩٥ طالباً من الناجحين فى شهادة الثانوية العامة هذا العام ، منهم ٣٢١٥ لجامعة القاهرة ، و ٢٤٠٥ لجامعة الاسكندرية ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

و ٢٦٧٠ لجامعة عين شمس ، و ٣٠٥ لجامعة أسيوط . ومن المنتظر أن تزداد هذه الأعداد ١٠ ٪ بالنسبة للكليات النظرية و ٥ ٪ بالنسبة للكليات العملية . وباقى الناجحين فى امتحان الشهادة الثانوية العامة يوزعون على الكليات والمعاهد العليا التابعة لوزارة التربية والتعليم .

الأزهر فى باريس

تقدم المسلمون المقيمون فى باريس بطلب إلى مشيخة الأزهر لإيفاد أحد العلماء إلى العاصمة الفرنسية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية فيها أحكام الشريعة . ولما كان أكثرهم من أبناء الأقطار الشقيقة فى شمال إفريقية وهم على مذهب الإمام مالك ، فستكون الأحكام الفقهية التى يتلقونها فى الفقه المالكى .

وقد رشح الأزهر أحد الأساتذة الوعاظ للقيام بهذه المهمة ، واتخذت الأسباب لتعجيل سفره لتسلم عمله .

الثقافة الإسلامية

فى كوبا وكولومبيا

بعث الأزهر بمجموعات من المصاحف والكتب الإسلامية والرسائل الثقافية والمجلات إلى اللجنة السياسية للجمهورية العربية المتحدة فى كوبا وكولومبيا من بلاد أمريكا اللاتينية ، وذلك لتمكين المسلمين هناك من أن يتزودوا من الثقافة الإسلامية والعربية .

جوائز للبحوث العلمية

قرر المجلس الأعلى للعلوم برياسة وزير التربية والتعليم اعتماد ١٦ جائزة تشجيعية قيمة كل منها خمسمائة جنيه تمنح لأحسن البحوث العلمية التى لم يمض على نشرها أو تنفيذها أكثر من ثلاث سنوات ، توزع بين البحوث العلمية الزراعية والهندسية والطبية والكيمائية والجيولوجية . والبيولوجية ، والرياضية ، والطبيعية .

معلومات عن العراق

مساحة العراق ١٧٥ ألف ميل مربع ، ويزيد عدد سكانه على خمسة ملايين ، وهو سادس دولة تنتج البترول ، وإيراد العراق منه أكثر من ٣٠٠ مليون دولار سنوياً . وجوه حار صيفاً ، بارد شتاء .

والإقليم الشمالى منه جبلى وفيه آبار البترول وأهم مدنه الموصل ، وأوسطه منطقة الرافدين (ما بين النهرين) وفيه العاصمة (بغداد) ، وفى الجنوب ملتقى النهرين ويسمى شط العرب وفيه مدينة البصرة .

والأمة العراقية تكاد تكون أمة عسكرية ، وسيكون لجيشها شأن بعد تحررها من الدمى التى كان الاستعمار يستعملها لأغراضه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

جمال عبد الناصر

بين يوغوسلافيا ومصر

فى مساء السبت ١١ ذى الحجة (٢٨ يونية) غادر الرئيس جمال عبد الناصر ميناء الاسكندرية على الباخرة المصرية (الحرية) فى طريقه إلى يوغوسلافيا بدعوة من رئيس جمهوريتها، فودعته الجماهير وداعا رائعا، وكان فى حراسة الباخرة (الحرية) المدمرتان المصريتان (الناصر) و (الظافر). وفى يوم الأربعاء ١٥ ذى الحجة (٢ يوليو) وصل الرئيس إلى ميناء (دوبروفنيك) فاستقبله فيها الرئيس تيتو والشعب اليوغوسلافى.

وفى يوم الأحد ١٩ ذى الحجة (٦ يوليو) بدأت المحادثات الرسمية بين الرئيسين فى جزيرة (بريونى)، وكانت مشاكل الشرق الأوسط وأزمة لبنان فى مقدمة هذه المحادثات التى تمت فى تفاهم كامل، فاتفقوا على اتخاذ إجراء مشترك فى كل مشكلة دولية، وعلى تدعيم العلاقات السياسية والثقافية والصناعية بين البلدين. وتحدث الرئيس جمال عبد الناصر من إذاعة راديو بلغراد فقال: إن القومية العربية كانت فكرة وأملا، فأصبحت اليوم حقيقة. وعقب المحادثات العربية اليوغسلافية حضر وزير خارجية اليونان إلى يوغوسلافيا وتجددت محادثات بين الدول الثلاث على أساس المحادثات الأولى ولمثل أغراضها.

ولما أشرقت شمس يوم الأثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) بدأت الأنباء تصل تباعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر فى بريونى عن قيام ثورة العراق وسقوط التاج والعرش فى بغداد وإعلان الجمهورية العراقية، وكان يوم غد (الثلاثاء) موعد سفر الرئيس جمال عائدا إلى مصر، فقرر التعجيل بعودته حالا، وعند غروب شمس الإثنين كانت الباخرة (الحرية) تشق بحر الادرياتيك بحراسة المدمرتين المصريتين ومدمرتين يوغوسلافيتين، ومضت هذه القافلة البحرية تشق العباب بأقصى سرعتها، وفيما هى على وشك الخروج من الادرياتيكى إلى البحر الأبيض وردت الأنباء بنزول القوات الأمريكية فى لبنان، ثم تلقت إحدى المدمرتين اليوغوسلافيتين رسالة سرية عاجلة من المارشال تيتو باسم الرئيس جمال عبد الناصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يقول فيها : « أناشدكم ألا تتقدموا فى البحر إلى أكثر من الحد الذى وصلتم إليه الآن . إن الخطر شديد بعد التطورات الأخيرة . أرجوكم العودة إلى أقرب ميناء يوغوسلافى ، أرجو أن يكون الرد بالموافقة » . فأجابه الرئيس جمال عبد الناصر بالموافقة . وفى صباح الثلاثاء وردت برقية أخرى من تيتو : « أقترح قدومكم إلى بريونى . أرجو للمرة أن تتنقلوا إلى إحدى مدمراتكم لتصلوا إلينا بعد ثمانى ساعات . أتطلع بشوق إلى أن أراك مساء اليـــوم » .

ولما تقررت فكرة العودة إلى بريونى تشاور الرئيس جمال مع وزير خارجيته فى زيارة موسكو للتحدث مع خروشوف فى جميع احتمالات الموقف الدولى ، ومن المدمرة المصرية ، بعث الرئيس جمال رسالة إلى خروشوف عن موقف الشرق العربى بعد ثورة العراق يقول فيها « قررت قبل أن أعود إلى القاهرة أن أراك فى أى مكان يناسبك ، وأنا الآن فى طريقى إلى بريونى » . ومن المدمرة المصرية أبرق الرئيس جمال إلى نهرو وشواين لاى ، وسوكارنو ، ورئيس وزارة سيلان ، ونكروما ، ورئيس وزارة الأفغان يشرح لهم تطورات الموقف فى الشرق الأوسط ولا سيما العـــراق ، وبعث الدكتور محمود فوزى تعليمات إلى جميع سفراء الجمهـــورية العربية المتحدة ليتصل كل منهم بحكومة البلاد التى يعمل فيها ، ويطلب سرعة الاعتراف بالجمهورية العراقية .

ولما وصل جمال إلى بريونى وجد فى انتظاره برقية من خروشوف بأنه فى انتظاره فى موسكو أو أى مكان آخر يلائمه . وفى بريونى جمع تيتو أهم رجال دولته للاجتماع برئيس الجمهورية العربية ووزير خارجيتها للتحدث معا فى آخر تطورات الموقف الدولى ، وامتد الاجتماع إلى منتصف الليل . وفى فجر يوم الخميس ٣٠ ذى الحجة (١٧ يوليو) استقل الرئيس جمال ووزير خارجيته الطائرة الجبارة التى كانت فى انتظاره بمطار بولا متوجها إلى موسكو بسرعة ألف كيلو متر فى الساعة ، ونزل فى موسكو بقصر داتشا بالضواحى ، واجتمع بخروشوف مدة ثمانى ساعات .

وفى الصباح المبكر من يوم الجمعة غرة المحرم (١٨ يوليو) استقل الرئيس الطائرة الروسية T.U.104 من موسكو ، وهى تتسع لسبعين راكبا ، فسلكت فى طريقها الممر الهوائى التجارى العادى ، ولم يخطر ببال المشرفين على مطارات العالم أن هذه الطائرة هى طائرة جمال عبد الناصر . مرت فوق طهران ثم طارت فوق بغداد ، وفى جو بغداد دنت الطائرة من المبانى والمعالم ، حتى كان الرئيس يرى بنظارته سكان بغـــداد وهم يمشون فى الشوارع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبينما العالم ينتظر وصول الرئيس بحراً إلى مصر ، إذا به يفاجأ بهبوط طائرته فى مطار دمشق فى الساعة الواحدة بعد ظهر الجمعة ، فذهب إلى قصر الضيافة ، وعرف الوزراء بوصوله ، وذهلت مخابرات العالم وهى تسمع الخبر ، إنهم كانوا يظنونه عائداً إلى مصر بطريق البحر . ومن شرفة قصر الضيافة بدمشق مساء الجمعة خطب على مسامع سكان العاصمة السورية ، فكان الوطن العربى كله يسمع خطابه كلمة كلمة ، كانت كلماته كلها أقوى من المدافع . ومما قاله : كانت راية الحرية قد ارتفعت فى دمشق والقاهرة ، واليوم ترتفع فى بغداد ، وستر تفع غداً فى بيروت وعمان والجزائر . إننا انتصرنا فى بور سعيد ، وسننتصر فى جميع المعارك . إن القومية العربية لا يمثلها جمال عبدالناصر ولا أى شخص آخر . من كان يسمع عن عبد الكريم قاسم ، أو عبد السلام عارف ؟ إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة ، إن سياستنا أن نسالم من يسالمنا وأن نعادى من يعادينا : القومية العربية أقوى من القنابل الذرية ، لقد انتصرنا فى معركة ١٩٥٦ ، وسننتصر فى هذه المعركة ، وقلوبنا كلها مع العراق . إن أمريكا تحتل لبنان وتحملنا مسئولية حماية جنودها المحتلة ! هذا هو الاحتلال ، وهذا هو الاستعمار . أنا أقول لإخوانكم فى بغداد إننا معكم أيها الإخوان جميعاً ، إننا نحمل السلاح معكم أيها الإخوة جميعاً ، إن كل قطرة من دمائنا مع كل قطرة من دمائكم . والله يوفق الأمة العربية جمعاء .

وسمع قادة الجمهورية العراقية صوت جمال عبد الناصر من دمشق فوفد عليه منهم فى صباح يوم السبت ٢ المحرم (١٩ يوليو) وفد يرأسه العقيد الركن عبد السلام عارف نائب رئيس الوزراء ، ومعه محمد حبيب وزير المالية وصديق شنشل وزير الارشاد ، وعبدالجواد جومرد وزير الخارجية . وأراد شعب دمشق أن يمتع أنظاره بمشاهدة قوى العروبة ممثلة بأبطال مصر والعراق والشام ، فأشرف على الجماهير جمال عبدالناصر ، وشكرى القوتلى ، وعبد السلام عارف ، وعبد الجبار جومرد ، وصديق شنشل ، ومحمد حبيب ، وتداولوا إلقاء الخطب القوية . وفى ذلك اليوم عقد فى دمشق بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية العراق هذا الاتفاق :

بسم الله الرحمن الرحيم

اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية

فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ١٣٧٨ (١٩ من شهر تموز « يوليو » عام ١٩٥٨) اتفق وفدا الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية على :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أولا ـ تأكيد ما يربط البلدين من عهود ومواثيق ، وفى مقدمتها ميثاق الجامعة العربية وميثاق الدفاع المشترك بين الدول العربية .

ثانيا ـ تأكيد ما أعلنته حكومتا البلدين من ارتباط وثيق بينهما إزاء الموقف الدولى ، وأنهما مصممتان على الوقوف كبلد واحد فى الدفاع ضد أى عدوان عليهما أو على أى منهما ، والبدء حالا فى اتخاذ ما يقتضيه ذلك من خطوات عملية .

ثالثا ـ التعاون الكامل فى المحيط الدولى للمحافظة على حقوق البلدين والمشاركة الفعالة فى تأييد ميثاق الأمم المتحدة وفى دعم السلام فى الشرق الأوسط وفى العالم .

رابعا ـ اتخاذ الخطوات العاجلة العملية لتنمية التعاون الاقتصادى والثقافى بين البلدين.

خامسا ـ الاتفاق والتشاور المستمرين بين البلدين فى كل الشئون التى تعنى كلا من البلدين .

وقد وقع هذا الاتفاق عن الجمهورية العربية المتحدة الرئيس جمال عبد الناصر ، ووقعه عن الجمهورية العراقية العقيد عبد السلام محمد عارف نائب رئيس الوزراء .

وفى يوم الأحد ٣ المحرم (٢٠ يوليو) زار الرئيس خطوطنا الأمامية بالقرب من الحدود اللبنانية ، وناقش الضباط والجنود الذين يحمون هذه الخطوط فى مهماتهم . وكان استقباله فى خطوط الحدود أروع استقبال . والغرض من هذه الزيارة الاطمئنان على الخطة الدفاعية المرسومة للمحافظة على الإقليم الشمالى من الجمهورية ضد أى عدوان أو تدخل أجنبى .

وكان مع الرئيس فى زيارته بعض الوزراء واللواء جمال فيصل قائد الجيش الأول ومعاونه أمير الألاى عبد المحسن أبو النور. وسر الرئيس بما رآه ، وعاد بالارتياح والاطمئنان التام .

وفى طريق عودته زار قبر الشهيد يوسف العظمة بميسلون ، ووضع على ضريحه باقة من الزهر تخليدا لنضاله فى سبيل الحرية والكرامة

وفى مساء الاثنين ٤ من المحرم عاد الرئيس إلى القاهرة ، واجتمع فور وصوله بالمشير عبد الحكيم عامر والسيد عبد اللطيف البغدادى نائبى رئيس الجمهورية ، والسيد على صبرى وزير شئون رياسة الجمهورية ، وبحث معهم مسائل عسكرية وسياسية هامة .

وفى مساء اليوم التالى (٥ المحرم ـ ٢٢ يوليو) ألقى الرئيس خطابه الخطير فى ميدان الجمهورية بالقاهرة ، وقد لخصناه فى مكان آخر من هذا الباب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أسهم قناة السويس

تم فى جنيف يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة (١٣ يوليو) توقيع الاتفاق النهائى الخاص بتعويض حملة أسهم قناة السويس السابقة، وكان التوقيع فى المقر الأوربى للأمم المتحدة بجنيف. وتم التوقيع فى اجتماع أحيط بالكتمان، حتى أن الصحفيين لم يعلموا بعقده إلا فى آخر لحظة، فلم يحضر أحد منهم هذا الاجتماع. وقد بينا الأسس التى قام عليها هذا الاتفاق فى ص ٩٧٢ — ٩٧٣ بالجزء الأخير من السنة الماضية.

انتفاضة العراق

كان يوم الإثنين ٢٧ ذى الحجة (١٤ يوليو) موعداً لاجتماع حلف بغداد فى اسطنبول، للنظر فى مساعدة كميل شمعون الموالى للغرب، والتنكيل بالشعب اللبنانى الثائر على صنائع الاستعمار.

وبات ملك العراق، وخاله عبد الإله، ونورى السعيد وهم على أهبة السفر بالطائرة فى ذلك الصباح إلى اسطنبول للاشتراك فى ذلك الاجتماع. وكانت الترتيبات قد عملت ليشترك جيش العراق فى إخماد ثورة اللبنانيين على عملاء الاستعمار من حكامهم. وبالفعل خرج إلى مطار اسطنبول كبار حكام تركيا وأعضاء البعثات الأجانب وضباط وجنود حرس الشرف بموسيقاهم ليستقبلوا ملك العراق ومن معه.

ولكن القومية العربية التى تصبر، ثم تثب وثباتها المفاجئة للتاريخ، كانت فى ساعة الفجر من ذلك اليوم فى بغداد، قد أعدت المفاجأة التى فاجأت بها الدنيا، فصدرت الأوامر العسكرية من العقيد عبد الرحمن عارف (شقيق العقيد عبد السلام عارف) بتطويق قصر الرحاب قبل أن يفر الخونة الذين كانوا فيه، وتقدمت وحدات الجيش للعمل وعلى رأسها اللواء العشرون بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وكان نورى السعيد قد أمر هذا اللواء بالذهاب إلى حدود الأردن لمصلحة الاستعمار، واشترك مع اللواء العشرين فى الثورة اللواء التاسع عشر وكتيبة الهندسة، وكتيبة الدبابات، وكان العقيد عبد السلام عارف فى قيادة إحدى فرق المدرعات التى طوقت القصر، وذهب أخوه عبد الرحمن بنفسه للاشراف على تنفيذ الخطة المرسومة، وكان أول عمل قاموا به بعد تطويق القصر قطع التيار الكهربائى والاتصال التليفونى، واحتلوا دار الإذاعة، ومناطق البترول، ومطار البصرة، وجميع المنشآت العسكرية، والمؤسسات المدنية والمالية التى تحتاج إلى حماية وحاصروا القواعد الانجليزية بخطة رسمت بإحكام، فأصبحت القواعد الانجليزية عاجزة عن أى إجراء نحو الثورة.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى قصر الرحاب لما رأى فيصل القوات المسلحة وأدرك موقفه قرر الاستسلام ، فبادره خاله عبد الإله بلطمة شديدة على وجهه ليثنيه عن ذلك ، وتناول من حرسه مدفعاً رشاشاً وأخذ يطلقه على جنود الثورة ، فقتل جنديين ورئيس عشرة ، وكان من المصلحة أن يقبض عليه هو والملك وهما على قيد الحياة ، لكنه تعمد أن تكون نهايته الموت لا الاعتقال ، فاضطر رجال الثورة إلى قتله ، وجر الشعب جثته فى الشوارع ، ثم صلب على باب وزارة الدفاع فى المكان الذى كان عبد الإله قد أمر أن يصلب فيه القائد المجاهد صلاح الدين الصباغ من قادة جيش العراق فى ثورة رشيد عالى الكيلانى أثناء الحرب العالمية الثانية . أما الملك فيصل فوجدت جثته مطروحة فى أرض القصر وكان المظنون أن خاله قتله ، لكن لم يوجد فى جسمه أثر للرصاص ، وكان هو مريضا بالربو ولعله مات متأثراً بالخوف والضعف . إن جبابرة الاستعمار فى الأرض لم تنقذ عبيد الكراسى من قضاء الله المبرم ، فويل لجبابرة الأرض من جبار السماوات .

إن أروع ما فى ثورة العراق قيامها على قوة الأخلاق ، فعجزت استعلامات الغرب وأذنابه عن أن تشعر ببوادر الثورة ، حتى فوجئت بصدمتها العنيفة التى أذهلت لندن وواشنطون وجميع أوكار الطغيان الاستعمارى الذى كان يعلق آماله فى خنق النهضة العربية على الأسرة الهاشمية التى أفسد الشيطان قلوب الأموات والأحياء من رجالها ونسائها ، ولا سيما صنيعتها المجرم الأول نورى السعيد ، وقد استطاع نورى السعيد أن يمضى الليلة الأولى بعد الثورة مختبئا فى حى الباب الشرقى إلى أن علمت الثورة بالجهة التى هو فيها ، وفى أثناء البحث عنه بدا له أن يغير مخبأه فخرج فى ملابس امرأة تصحبه امرأة أخرى فلفتت حركتهما أنظار الناس ، وظن نورى السعيد أن امره افتضح فاستل مسدسه وجعل يطلقه بغير وعى ، فهاجمه جندى وصرعه برصاصه ، وبعد سقوطه تبين أنه نورى السعيد فحملت جثته إلى وزارة الدفاع ، وبعد تشريحها دفنت فى منطقة أبى غريب على بعد ٢٠ كيلو مترا من بغداد .

وفى اليوم نفسه قبض على فاضل الجمالى وهو متنكر فى زى أعرابى يحاول الخروج من العراق بطريق البادية ، فاعتقل توطئة لمحاكمته مع أمثاله .

وكان أول مقررات الثورة العراقية فى صباح يومها الأول صدور مرسوم بإلغاء النظام الملكى فى العراق ، وإزالة شاراته وأسمائه عن الأوضاع والمرافق العسكرية والمدنية وغيرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومرسوم بإعلان الجمهورية العراقية .

ومرسوم بتكوين (مجلس السيادة) ، واختيار الفريق الركن نجيب الربيعى رئيسا له .

وتولى رياسة الوزارة فى الجمهورية العراقية لأول مرة الزعيم الركن عبد الكريم قاسم ، الذى كان فى قيادة اللواء العشرين عند تحطيم الأصنام التى أقامهـــا الاستعمار لاستعباد العراق .

وبعد دقائق من إعلان الجمهورية العراقية قررت الجمهورية العربية المتحدة الاعتراف بها والتعاون معها ، ثم أعلنت رسمياً أنها «ستقوم بالتزاماتها كاملة تجاه جمهورية العراق وفقاً لميثاق الضمان الجماعى العربى ، وأن كل عدوان على جمهورية العراق يعتبر عدوانا على الجمهورية العربية المتحدة» . وهذا النص كتبه الرئيس جمال عبدالناصر بخطه وهو فى المدمرة (الناصر) فى بحر الادرياتيك وبعث به فى برقية مفتوحة ليذاع من القاهرة .

إن الشعب العراقى عن بكرة أبيه كان يدا واحدة مع الجيش فى تثبيت العهد الجديد والابتهاج به ، وعقد القلوب على حياطته بالأرواح والدماء والعزائم ، وقد أثبتت انتفاضة العراق لكل مكابر فى الأرض أن العروبة خرجت من القمقم ، وستستأنف رسالتها فى التاريخ .

يطلب الاحتلال للأردن

اجتمع حسين حفيد الملك عبد الله بكبار مستشاريه العسكريين والسياسيين يوم الأربعاء ١٦ يوليو ، وتم الاتفاق على الاستنجاد ببريطانيا وأمريكا لتحتلا بلاد الأردن ، فيحتفظ بالكرسى الذى تزلزل بثورة العراق ومصرع فيصل وعبد الاله ونورى السعيد . وقد وجه حسين نداء لبريطانيا وأمريكا كانت نتيجته أن بادرت بريطانيا بإرسال قوة كبيرة من جنود المظلات إلى عمان ، كما كان من نتيجته تمهيد الطريق لإرسال قوات أمريكية إلى الأردن . وقد تأكد أن القوات البريطانية التى وصلت إلى عمان مرت فوق إسرائيل بموافقة الحكومة الإسرائيلية .

مهزلة حراسة ملك الأردن

وجه النائب العمالى ايمرز هيوز سؤالا فى البرلمان البريطانى إلى مكميلان رئيس الوزارة: أليس من الأفضل لتأمين حراسة حسين ملك الأردن أن يقيم فى بريطانيا فى حماية البوليس الانجليزى ، بدلا من إرسال قوات بريطانية إلى الأردن لحمايته هناك ؟

فأجابه رئيس الوزارة : أعتقد أن الملك حسين يشعر بأنه يجب ألا يغادر بلاده فى الوقت الحاضر ، ولذلك فإنى لا أفكر الآن فى دعوته لزيارة بريطانيا . . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا توجد قوة

توقف قوة القومية العربية

قال زعيم حزب العمال البريطانى فى خطاب ألقاه على مؤتمر شعبى كبير بمدينة درهام : إننا نخدع أنفسنا إذا كنا نظن أن بريطانيا وأمريكا سوف تتمكنان من وقف قوة القومية العربية المتزايدة .

ولا يمكن لأحد أن ينكر أن هناك حركة ضخمة ضد حكم الملك حسين، كذلك لا يمكننا أن ننكر أن قواتنا أجبرت على الانسحاب من الأردن قبل سنتين بسبب الشعور الشعبى الجارف المعارض لتحالف الأردن مع بريطانيا ويخطئ كل الخطأ من يظن أن هذا الشعور قد تبخر

خطبة جمال عبد الناصر

فى الذكرى السادسة للثورة

خطب الرئيس جمال عبد الناصر فى مساء الثلاثاء ٥ المحرم (٢٢ يوليو) فى ميدان الجمهورية بالقاهرة .

حضر من بغداد وفد برياسة السيد مصطفى على وزير العدل للاشتراك فى هذه الذكرى . وبلغ عدد الذين احتشدوا لسماع الخطبة أكثر من ٧٥٠ ألف مواطن .

قال الرئيس إن هذا العيد عيدان: عيد ذكرى ثورتنا ، وعيد قيام الثورة العراقية . لقد وقعنا الاتفاق مع العراق فورا . ولم نكن فى حاجة إلى ميعاد لتوقيعه ، فإنه كان موقعا بيننا منذ الأزل .

طلب الرئيس من دول الأرض الاعتراف بحياد الشرق الأوسط العربى ، وأنه لا بد من احترام إرادة الشعوب . وأن العالم وصل إلى حافة الحرب بسبب الشرق الأوسط ، ولكن الأزمة مفروضة على الشرق الأوسط من خارجه ، ولو تركت شعوب الشرق الأوسط لنفسها لما اختارت إلا السلام . إننا نريد صداقة الجميع ، ولكننا لا نريد أن نجعل فى بلادنا قواعد أجنبية تهدد غيرنا وتعرضنا للتهديد .

لقد عجزت مدافع الاستعمار عن حماية العملاء الذين لا يعيشون إلا فى ظلالها ، ولكن مدافع الاستعمار لم تعد أقوى المدافع فى الدنيا . إن كفاح شعب الأردن انتكس بسبب انحراف ملك الأردن وتنكره لشعبه، ولكن كفاح الأردن سوف ينتصر ، لأن انحراف أى فرد لا يمكن أن يؤثر فى كفاح شعب . إن حسينا يواصل الآن فى عمان الرسالة التى حملها جده عبد الله من قبله ، رسالة الخيانة فى فلسطين ، وإن حسينا هو سر جده ، والخيانة فى الأردن ستنتهى وينتهى معها الاحتلال . وسوف ينهزم الاستعمار الأمريكى فى لبنان ، ويلقى نفس المصير الذى سيلقاه الاستعمار البريطانى فى الأردن ، إنه نفس مصير الاستعمار فى العراق . لقد انتهى عهد العملاء ، وبدأت ثورة الأحرار من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى .

لماذا يخافون من القومية العربية ؟ هل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أغلقنا قناة السويس بعد تأميم شركتها كما كانوا يخشون ؟ هل سيمنع العراق بتروله بعد تحرره كما يتصورون ؟

لقد تركنا أعوان الاستعمار فى العراق لشعب العراق ، لقد رد شعب العراق عليهم . باسمكم فى هذا المكان ، باسم دمشق والقاهرة أرحب برجال بغداد الشقيقة العزيزة ، باسم الأمة العربية جميعا أرحب بوفد جمهورية العراق . إننا نعتمد أولا وأخيراً على الله ، وعلى قوة الشعب التى نعتبرها من قوة الله .

إن العالم اليوم أصبح إما أن يتجه إلى سلام ، أو أن يتجه إلى حرب . إما أن يتجه إلى بقاء ، أو أن يتجه إلى فناء . نحن نبذل كل جهدنا من أجل السلام ومن أجل البقاء . وفى نفس الوقت نحمل السلاح جميعا من أجل المحافظة على كياننا ، ومن أجل صد أى عدوان على أى جزء من الوطن العربى .

نحن فى هذا نؤمن بالله ، ونؤمن بالوطن ، ونؤمن بأنفسنا ونؤمن بكفاحنا . وبعون الله سترتفع دائما أعلام النصر على كل جزء من أجزاء وطننا كما ارتفعت قبل ذلك فى القاهرة ، وكما ارتفعت فى دمشق ، وكما ارتفعت فى بغداد . والله يوفقكم . والسلام عليكم ؟

جمال وحركة التحرر العربى

خطب خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى فى حفل أقامته سفارة جمهورية بولونيا بموسكو ، فتحدث عن اجتماعه الأخير بالرئيس جمال عبدالناصر ، وقال عنه : « إنه قائد حركة التحرر فى العالم العربى وليس شيوعيا مثلى ، ومع ذلك التقينا فورا وفهم كل منا حقيقة الآخر ، وجمعنا العمل المشترك من أجل السلام . وقد اتفقنا على مواجهة مؤامرات الاستعمار بكل طاقتنا ، وعلى منعهم من إشعال الحرب فى الشرقين الأدنى والأوسط .

« إن الاستعمار لن يستطيع وقف حركة التحرر العربى . وإنى أرحب بجمهورية العراق وقادتها . ويجب سحب القوات الأمريكية والبريطانية من لبنان والأردن . ولن تستطيع الحراب الأجنبية أن تحول دون سقوط الحكام الذين يفقدون ثقة شعوبهم » .

وقال خروشوف يصف الزعيم الركن عبد الكريم قاسم : « إنه رجل شجاع ذو صفات رائعة ، لأنه لم يخف من الاستعماريين »

وقال عن حسين حفيد عبد الله « إن مصيره سيكون مصير قيصر روسيا » .

وقال عن شمعون « إنه معلق فى الفضاء ، لا يقف على أرض » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــــلم
١	فى عامنا الجديد	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٢	صاحب ذكرى الهجرة	« « « « « «
١٢	العام الهجرى	« عبد الرحمن عيسى مدير المجلة . .
٢٠	نفحات القرآن : موقف الحق من الباطل ـ ٦١ ـ	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٢٤	الهجرة الميمونة	« عبد الله مصطفى المراغى . . . .
٢٨	نحن والصيف	« أحمد الشربامى المدرس بالأزهر . .
٣٣	الاسلام والطب الحديث	« أبو الوفا المراغى . . . . .
٣٦	حصوننا مهددة من داخلها « فى جامعة الدول العربية » ـ ٤ ـ	الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الاسكندرية
٤٤	صلات مصر الثقافية ببلاد آسيا وغيرها . .	الأستاذ محمد حسن درويش شيخ معهد البعوث الاسلامية . . . . .
٤٨	حرية الفكر كما قررها الاسلام	« رئيس سويلم طه المفتش بالأزهر . .
٥٥	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية »	الأستاذ محمد محمد أبو شهبة الأستاذ بكلية أصول الدين
٦٠	زين العابدين « على بن الحسين » . . .	« محمود النواوى . . . . .
٦٦	حنين ـ « قصيدة »	« محمود طبيرة رئيس بعثة الأزهر بالصومال
٦٧	الاسلام فى غانا	« عطية صقر المدير الصحى لمكتب شيخ الجامع الأزهر . . . . .
٧٢	آمال متواضعة : هل تتحقق خلال العام الجديد ؟	« فتحى عثمان . . . . .
٧٧	حق الجوار فى تقدير الشريعة الاسلامية . .	« عباس طه الحامى . . . . .
٨١	صوت من وراء الدنيا : أبو هريرة حافظ الصحابة	« أحمد محمد شاكر . . . . .
٨٨	لغويات	« محمد على النجار . . . . .
٩٢	تعليقات	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٩٤	كلمة بمناسبة الذكرى العاشرة لاغتصاب فلسطين	فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
٩٦	ضيوف الأزهر	. . . . .
٩٨	فى عيد الأضحى المبارك	. . . . .
١٠١	الأدب والعلوم	المجلة
١٠٣	العالم الاسلامى	«